14 me Année No. 676

Lundi—17—6—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٧٦ — القاهرة فى يوم الإثنين ١٧ رجب سنة ١٣٦٥ — ١٧ يونية سنة ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

من مخلفـــات الحرب

هـــذا الطبلاوى أفندى ! !

تخلّص الإنجليز والأمريكيون من أوزار الحرب التى انقطع منها النفع ، فباعوا كل ما تركت من شيء حتى القنابل المحشوة ! وأقصوا كل ما خلّفت من شخص حتى تشرشل الجبار ! ونحن فى مصر لا نزال نعانى من مخلفات هذه الحرب وجرائرها ما يرمض الجوانح ويقُض المضاجع .

لا أريد بمخلفات الحرب هؤلاء الجنود الغرباء الذين يملأون الدور ويزحمون الشوارع ، ولا هذه الضرائب الاستثنائية التى تقصم الظهور وتقوض المصانع ، إنما أريد بها أثرياء الحرب الذين يُفحِشون أسعار الخبز واللحم والفاكهة على الفقراء فى المواسم ، ويرفعون أجور القصور و (العشش) و (الكابينات) على الأغنياء فى المصايف ، ويخفضون مستوى الخير والحق والجمال والذوق والفضيلة فى جميع الأماكن ! أكثر هؤلاء طغام رُبّوا فى أحجار الفاقة ، ودرجوا فى أكواخ البؤس ، وأعوزتهم التربية الدينية التى تجمّل الفقر بالزهد ، والثقافة المدنية التى تلطف الشقاء بالأمل ، فشبوا على غرائزهم الأسيلة ، يحتالون عند العجز احتيال الذئاب ، ويفترسون عند القدرة افتراس الأسود ، وهم بين أحوال العجز والقدرة يكابدون آلام الشوق المبرح المحرق إلى المال فى يد الغنى وفى بيوت التجار ، وإلى اللحم فى جسد المرأة وفى حانوت الجزار ، ويحاولون ما استطاعوا أن يطفئوا هذا السُّعار القاتل بالسرقة والقمار والتدليس والاحتيال والغش ، فلم يزدهم هذا الرى إلا ظمأ ، ولا هذه المتعة إلا حسرة !

فلما أوقد المستعمرون نيران الحرب الأخيرة فى بقاع الدنيا فأكلت شباب الأمم ، وأهلكت ثمار الأرض ، ونقصت نتاج الناس ، قُيّدت المعاملات ، وحُدّدت الأرزاق ، فوجد هؤلاء الشرهون الجياع أن الانطلاق من هذه القيود إلى الحرام المشتهى والثراء المرجوّ ، أسهل على نفوسهم من تكلف العفاف وإضاعة الفرصة ، فاحتكروا السلع ، وأغلوا الأسعار ، وطفّفوا الكيل ، وأخسروا الميزان ، وأقاموا فى ظلمات الطرق وفى كهوف الأرض سبوتاً سوداء يستغلون فيها عُرى الفقير وجوعه ليسلبوه ما تجمع فى يديه من ثمن عرقه ودمعه . وظلت الحرب يضرورانها وشواذها تركم على أجسادهم اللحم والشحم ، وتكدس فى خزائنهم الأوراق والأرزاق ، حتى أصبحوا فى المجتمع المصرى طبقة متميزة لها طابعها الخاص ، وسمتها الفرد ، وهنداما العجيب ، وحياتها التى أصبحت للتصوير الهازل والصحافة الفكهة مدداً لا ينقطع ومنبعاً لا ينضب !

أسخطنى على هذه الطبقة الجديدة قصة سمعتها عن أحد أعيانها البارزين سأقصها عليك . وليست هذه القصة أول القصص ولا آخرها ، فإن أغنياء الحرب ينفجرون كل يوم من فرط السمن والانتفاخ ، فيكون لهم من الشظايا والضحايا ما لهذه القنابل التى لا تزال نسمع انفجارها فى الطرق أو فى الملاهى !

استزارني يوم الأحد الماضي صديقي الأستاذ (ج) في دارته[1] الجميلة بالدقي، فزرته في وقت الشاي، وكانت الشرفة التي اختارها لجلوسنا تنظر إلى دارة تقابل دارته، إلا أنها أوسع وأرفع وأفخم، ولكن أنماط الناس الذين يدخلونها أو يخرجون منها أو يحفون بها لا تأتلف مع جمالها ولا ترتفع إلى مستواها. دع هذا الصياح الذي يتفجر فيها، والرياط الذي ينبعث منها، فربما كان أصحاب الدارة غائبين والخدم ينفسون عن حريتهم المكظومة بهذا الهرج. فسألت صديقي من باب الكلام الذي يُقصد به تحريك اللسان قطعا للصمت أو فتحا للحديث:

لمن هذه الدارة الفخمة؟

فابتسم صديقي وقال وهو يشير إلى امرأة تجلس وحدها على مقعد من مقاعد حديقته:

لهذه المرأة!

ونظرت إلى المرأة التي أشار إليها فوجدت جسما كالخيال دقيق الشبح معروق العظام تستره ملاءة لف من الطراز الذي كانت تلبسه الخادمات قبل أن يصبحن (أرتستات) حرب! فقلت لصديقي وأنا أبتسم كما يبتسم: ماذا تعني؟ فقال: إنما عنيت ما قلت، وهو أن تلك الدارة لهذه المرأة، وهي مع ذلك لا تجد اللباس ولا تملك القوت، ولا يمر أسبوع دون أن تزورني مرة أو مرتين لألتمس لها من جانب هذا الثراء الضخم فضلة من الرزق تمسك الرمق وتديم العفة، ولكن!!

فقلت له والتعجب يترقرق في عيني ووجهي: لم أفهم ما تريد فماذا تعني؟

فقال بلهجة الجد: أعني أن هذه المرأة زوجة صاحب الدارة، وهو فلان الغني الذي يسميه الناس (الطبلاوي افندي) لأن بطنه المنتفخ المستدير يحمله أشبه بضارب الطبل العظيم حين يحمله على صدره. كان هذا الرجل فقيرا غير شريف، ووضيعا غير متواضع، تزوج وهو في تلك الحال من هذه المسكينة فولدت له خمس بنات وثلاثة بنين أكبرهم كما تقول لا يبلغ الرابعة عشرة، وكانت تعيش معه هي وأولادها على الكفاف، تساعده في حدود ما تستطيع بالعمل والتدبير والتقتير والقناعة، وتحتمل سَرَفه وزَرْقه بالصبر والإغضاء والنصيحة، حتى أدركته (نعمة) الحرب في سنتها الثالثة، فوصلت حباله بحبال المتعهدين لجيوش الحلفاء بالمواد الغذائية فشاركهم في الجمع والتوريد، وانفرد عنهم بالصانعة والمهاواة، حتى استطاع بجرأته بعد قليل أن يدخل على رؤساء العمل الانجليز من الباب الخلفي، فعاملهم بالغش، وشاركهم في الربح، واستعان بهم على إخراج المحظور من السكر والرز، وإدخال الممنوع من الحشيش والأفيون؛ فتساقطت على رأسه وقفاه رزم البنك نوت تساقط البَرَد الغليظ، حتى اجتمع له في نهاية الحرب ربع مليون جنيه!

ومنذ رحلت جيوش الحلفاء خلع الطبلاوي رداء العمل، وحشر نفسه في صفوف الترفين والعلية، فلفّف جسمه بالحرير، وختّم أصابعه بالماس، وعدّد الألوان الفاقعة في بذاته وحذائه؛ ثم خلى جسمه للهموم يضخم ويسترخي وينبعج جانباه، وترك شاربه الخشن يغلظ وينتفش ويطول سِبالاه؛ ثم اقتنى الضياع والعقار، واشترى الرُّلْزرايز والباكار. وكان يطلب الأغلى من كل صنف، والأعلى من كل شيء. ولا أشك في أنه هو الذي تحدث الظرفاء عنه بأنه استشار الطبيب فأشار عليه بفيتامين بيه (B)، فقال له: ولِمَ لا تشير بفيتامين باشا؟ وأنه طلب إلى رسام أن يرسمه فسأله: أتريد الصورة بالزيت؟ فقال له: كلا، بل أريدها بالسمن. وأن طبيب الأسنان أراد أن يصنع لأحد أضراسه المنخورة غلافاً من الذهب، فطلب إليه أن يصنعه من الماس! ثم سكن هذه الدارة وألقى زمامه في يد الغاوين من رواد اللهو وسماسرة الفجور، فجعلوا له من كل غرفة ماخورًا، ومن كل ردهة مرقصا، ومن كل بهو حانة.

وأعجب ما في الأمر كله أن صورة بيته القديم كصورة ماضيه العظيم قد انمحت من ذاكرته، فلم يعد يذكر عنوان بيته ولا سكانه ولا جيرانه، كأنه لم يستقبل الحياة ولم يبصر الدنيا إلا سنة ١٩٤٥! وها هي ذي امرأته على الحال التي ترى، تأتي كلما دفعتها الحاجة لتتوسل بي وبغيري إلى هذا الوغد ليرمي إليها من وراء السُّور من فضلات الغواني وفُتات الموائد ما يمسك الحياة عليها وعلى أولاده، وإن لم ينقص فلن يزيد.

فهل كنت تظن قبل هذا الحديث أن في خلق الله أمثال هذا الرجل؟ فقلت له: والله يا صديقي لو كان المحدّث غيرك لاتهمته بالتزويق والتزوير، ولما صدقت أن يكون في بني الإنسان هذا الخنزير!

حسين الزيات

(١) الدارة: خير ما وضع من الألفاظ للفلا (villa).

في النحو :

لا غـــير

أبو العلاء المعري

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

يقول الشيخ أبو العلاء المعري في كتابه (عبث الوليد) في هذا البيت لأبي عبادة البحتري :

« أناب به بسطامه ومحمد قام علا يعيي اللوك حلولها[1]

كان في النسخة : (أناب به) وهي كلمة نافرة في هذا الموضع ولو أنها (أناب) لكانت أشبه . وفي النسخة (القام) مرفوعة وإنما يجوز ذلك إذا جعلت بدلا من (بسطام ومحمد) والمعنى يصح على ذلك إلا أنه بعيد . والأحسن أن يكون (أنّ) في موضع (أناب) أي أقام ولزم . (قام علا) ينصب بوقوع الابنان عليها وقد أساء في قوله : (قام) لأن المعروف قم إلا أن زيادة الألف هاهنا جائزة تشبه بقلال وقباب . وفي بعض النسخ (أناف) وهو أشبه بمذهبه ، وينصب حينئذ قام لا غير »

فيكتب الأستاذ الأديب محمد عبد الله الدنى المعلق على الكتاب هذه التعليقة على (لاغير) في قول الشيخ (ص ١٩٠) :

« غير اسم ملازم للاضافة في المعنى ويجوز أن يقطع عنها لفظا إن فهم المعنى وتقدمت عليها كلمة ليس وقولهم لا غير لحن : المغني لابن هشام . اهـ » .

وهذا قول الإمام جمال الدين بن هشام في (غير) أرويه بتمامه — وإن طال — إذ قد يميل قارىء إلى الوقوف عليه :

« غير : اسم ملازم للاضافة في المعنى ، ويجوز أن يقطع عنها لفظا إن فهم المعنى وتقدمت عليها كلمة ليس ، وقولهم : (لاغير) لحن . ويقال : قبضت عشرة ليس غيرها برفع غير على حذف الخبر أي مقبوضا ، وبنصبها على إضمار الاسم أي ليس المقبوض غيرها .

وليس غير ، بالفتح من غير تنوين على إضمار الاسم أيضا ، وحذف المضاف إليه لفظا ، ونية ثبوته كقراءة بعضهم : (لله الأمر من قبل ومن بعد) بالكسر من غير تنوين أي من قبل الغلب ومن بعده .

وليس غير ، بالضم من غير تنوين ، فقال المبرد والمتأخرون إنها ضمة بناء لا إعراب وإن غير شبهت بالغايات كقبل وبعد ، فعلى هذا يحتمل أن يكون اسما وأن يكون خبرا . وقال الأخفش ضمة إعراب لا بناء لأنه ليس باسم زمان كقبل وبعد ولا مكان كفوق وتحت ، وإنما هو بمنزلة كل وبعض ، وعلى هذا فهو الاسم ، وحذف الخبر ، وقال ابن خروف : يحتمل الوجهين .

وليس غيرا بالفتح والتنوين ، وليس غير بالضم والتنوين ، وعليهما فالحركة إعرابية لأن التنوين إما للتمكين فلا يلحق إلا المعربات وإما للتعويض فكأن المضاف إليه مذكور ، ولا تتعرف غير بالإضافة لشدة إبهامها » .

فعند الأستاذ الدنى — وتلكم تعليقته — أن الشيخ قد لحن ، وسنده هو ابن هشام . وقد فتشت طويلا عن اللحن في عبارة المعري فلم أجده ، ولن أجده أبدا . وإن خيل أنه قد جاء من إعمال (لا) عمل (ليس) فاللحن نفسه يسطر في (المغني) هذه الأسطر :

« الثاني — من أوجه لا — أن تكون عاملة عمل ليس كقوله :

من صد عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براح[1]

وإنما لم يقدروها مهملة والرفع بالابتداء لأنها حينئذ واجبة التكرار ، وفيه نظر لجواز تركه في الشعر ، و (لا) هذه تخالف ليس من ثلاث جهات (إحداها) أن عملها قليل حتى ادعى أنه ليس بموجود . (الثانية) أن ذكر خبرها قليل حتى إن الزجاج لم يظفر به ، فادعى أنها تعمل في الاسم خاصة وأن خبرها مرفوع ، ويرده قوله :

تعز فلا شيء على الأرض باقيا ولا وزر مما قضى الله واقيا

وأما قوله :

نصرتك إذ لا صاحب غير خاذل فبوئت حصنا بالكماة حصينا[2]

(١) قلت : البيت من قصيدة ، صدر مطلعها : (هواها على أن الصدود سبيلها) ولم ترد هذه القصيدة في الديوان المطبوع .

(١) قلت : البيت للحماسي سعد بن مالك ، وهو من أبيات الكتاب والمفصل ، قال الشنتمري : استشهد به على إجراء لا مجرى ليس في بعض اللغات كما أجريت ما مجراها في لغة أهل الحجاز فتقديره لا براح لي على معنى ليس لي براح .

(٢) قلت : البيت من شواهد ابن عقيل في إعمال لا عمل ليس .

فلا دليل فيه كما توهم بعضهم لاحتمال أن يكون الخبر محذوفا وغير استثناء . الثالثة أنها لا تعمل إلا فى النكرات خلافا لابن جنى وابن الشجرى ، وعلى ظاهر قولها جاء قول النابغة :

وحلت سواد القلب لا أنا باغيا سواها ولا عن حبها متراخيا

وعليه بنى المتنبى قوله :

إذا الجود لم يرزق خلاصا من الأذى فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا[1] »

فهذه (لا) تعمل — إذن — عمل (ليس) — ودع قولهم إن عملها قليل فالقلة لا تمنع العمل . وما عدها أحد خطأ أو لحنا — وقد زاد العرب الباء فى خبرها لتأكيد النفى — كما يقول ابن يعيش[2] — كما زادوها فى خبر أختها أو قريبتها فقال قائلهم :

فكن لى شفيعا يوم لاذو قرابة بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

و (لا وليس) تتناوبان ، قال اللسان :

« قد تجى ليس بمعنى لا ولا بمعنى ليس ، ومن ذلك قول لبيد : (إنما يجزى الفتى ليس الجمل[3]) أراد لا الجمل . وسئل سيدنا رسول الله عن العزل[4] عن النساء فقال : لا عليكم أن لا تفعلوا فإنما هو القدر[5] ، معناه ليس عليكم أن لا تفعلوا يعنى العزل كأنه أراد ليس عليكم الإمساك عنه من جهة التحريم وإنما هو القدر ، إن قدر الله أن يكون ولد كان » .

وهل (ليس) أصلها — كما قالوا — إلا (لا) ضمت إليها (أيس) ثم كان ما أراده الله تعالى وعمله الانتخاب الطبيعى La Sélection Naturelle فى اللغة عمله فى كل شىء ، وهل أنت — يا فتى — من قبل أنت ، هل دريت كيف كنت ؟ قال التاج :

« أصلها — يعنى ليس — (لا أيس) طرحت الهمزة وألزقت اللام بالياء ، وهو قول الخليل والفراء ، قال الأخير : والدليل على ذلك قولهم أى العرب : ائتنى به من حيث أيس وليس ، أى من حيث هو ولا هو ، وكذلك قولهم جىء به من أيس وليس أو معناه من حيث لا وجد ، أو أيس أى موجود ولا أيس أى لا موجود تخففوا ... »

وقد استعمل للشيخ (لاغير) فى كتابه العجيب المبقرى (الفصول والغايات) وفى كتابه الدهش (رسالة اللائكة) كما استعملها فى (العبث) فقال فى شرح جملة فى الأول ص ٣٣٩ :

« والعرف الرائحة الطيبة وغيرها ، والريا الرائحة الطيبة لا غير » .

وقال فى الثانى ص ٧٠ :

« ... ومعيشة عند (سعيد بن مسعدة) مفعُلة لا غير ، وهى عند الخليل وسيبويه مفعِلة ولا يمتنع أن تكون مفعلة[1] » .

واستعمل (لا غير) أئمة قبل المعرى وبعده . وهذه جريدة قصيرة فى استعمالهم إياها :

الكتاب لسيبويه (ج ٢ ص ٣١٧) :

« ويكون الاسم على إنفعل فى الوصف لا غير » .

تهذيب إصلاح المنطق (ج ١ ص ١٨١) ، والتهذيب لابن السكيت والإصلاح للتبريزى :

« بقية الإثلب والأثلَب أى الحجارة والتراب ، قال أبو يوسف : أشك فى الإثلب والأثلب وأحسبه إفعل وأفعل . الجوفى : هى أفعل لا غير[2] ، لأن الهمزة إذا كانت أولا يقضى عليها بالزيادة إلا أن يقوم دليل بأنها من الأصل » .

الفصيح لأبى العباس ثعلب (ص ٣١) :

« جلا القوم عن منازلهم جلاء وأجلوا أيضا ، وأجلوا عن قتيل لا غير إجلاء[3] » .

وفيه فى (ص ٨١) :

---

(١) قال العكبرى : شبه لابليس فنصب الخبرين كتشبيه ابن قيس فى بيت الكتاب : من فر ... ولم يقل فى الاسمين المعرفتين شيئا .

(٢) شرح المفصل ج ١ ص ١٠٩ .

(٣) قلت : ضبطت (يجزى) فى هذا الجزء من اللسان (ج ٢٠ ص ٣٥٨ وفى ج ٨ ص ٩٦) بالبناء لما لم يسم فاعله وهى بالبناء لما سمى فاعله ، وجاءت (يجزى والجمل) بالراء والحاء فى ج ٨ ، والقول من أمثالهم قال الميدانى فى شرحه : يريد لا الجمل ، يضرب فى المكافأة أى إنما يجزيك من فيه إنسانيه لا من فيه بهيمية .

(٤) عزل الماء عن النساء حذر الحمل .

(٥) فى رواية : لا عليكم أن لا تفعلوا ذلك . فانها ما من نسمة كتب الله أن تخرج إلا وهى خارجة .

---

(١) لم نجد الشيخ محمود حسن زناتى الذى ضبط كتاب (الفصول والغايات) وفسر غريبه ونشره ، والأستاذ محمد سليم الهندى الذى عنى بتحقيق (رسالة اللائكة) وشرحها وضبطها ومعارضتها قد نقدا أو علقا ومثلهما لم يغب عنهما ما يقول ابن هشام وغير ابن هشام .

(٢) فى النهاية : الولد للفراش وللعاهر الأثلب الاثلب : بكسر الهمزة واللام وفتحها والفتح أكثر : الحجر ، وهمزته زائدة

(٣) إذا تفرقوا عنه بعد إحداقهم به (التلويح لمحمد المروى) .

« ولد المولود لِتمام وتَمام ، وليل التمام مكسور لا غير[1] ».

الكامل للمبرد (ج ٦ ص ٥٤ رغبة الآمل من كتاب الكامل) :

« قال وجل لعمر بن عبد العزيز يرثيه :

قد غيب الدافنون اللحد إذ دفنوا ... بدير سمعان قسطاس الموازين

من لم يكن همه عينا يفجرها ... ولا النخيل ولا ركض البراذين

أقول لما أتاني ثم مهلكه ... لا يبعدنّ قوام الملك والدين

يقال هذا قوم الأمر وملاكه لا غير[2] ، وتقول فلان حسن القوام مفتوح تريد بذلك الشطاط ، لا يكون إلا ذاك » .

الفائق للزمخشري (ج ١ ص ١٢٦) :

« النبي صلى الله عليه وسلم قال حريث : رأيته دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء حرقانية قد أرخى طرفها على كتفيه هي التي على لون ما أحرقته النار كأنها منسوبة بزيادة الألف والنون إلى الحرق ، يقال : الحرَق بالنار والحرق معا والحرق[3] من الدق محرك لا غير » .

المخصص لابن سيده (ج ٣ ص ٥٠) :

« وقالوا : جزاك الله خيرا والرحم بالنصب والرفع ، وجزاه الله شرا والقطيعة بالنصب لا غير » .

شرح المفضليات لأبي محمد الانباري (ص ٥٦٥) :

« أنكرته حين توسمته ... والحرب غول ذات أوجاع

قال عاصم : أنكرته شككت فيه ، يقال : أنكرت الرجل إذا كنت من معرفته في شك ونكرته إذا لم تعرفه ، قال الله عز وجل : نكرهم وأوجس منهم خيفة . قال أبو عبيدة يقال أنكرته ونكرته بمعنى واحد وكذلك استنكرته ، وأنشد بيت الأعشى :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت ... مني الحوادث إلا الشيب والصلعا

أي إنما أنكرت شيبي وصلعي لا غير ، فأما كرمي وطبيعتي فلم أتغير عنهما » .

لسان العرب لابن منظور (ج ٤ ص ٣٤٦) :

« قال الجوهري : وأما قولهم : قدك بمعنى حسبك فهو اسم تقول : قدى وقدنى أيضا بالنون على غير قياس لأن هذه النون إنما تزاد في الأفعال وقاية لها مثل ضربني وشتمني . قال ابن بري : وهم الجوهري في قوله : إن النون في قدني زيدت على غير قياس وجعل نون الوقاية مخصوصة بالفعل لا غير . وليس كذلك ، وإنما تزاد وقاية لحركة أو سكون في فعل أو حرف كقولك في من وعن إذا أضفتهما إلى نفسك مني وعني فزدت نون الوقاية لتبقى نون من وعن على سكونها ، وكذلك في قد وقط تقول قدني وقطني فتزيد نون الوقاية لتبقى الدال والطاء على سكونهما . وكذلك زادوها في ليت فقالوا : ليتني لتبقى حركة التاء على حالها ، وكذلك قالوا في ضرب ضربني لتبقى حركة الباء على فتحها . وكذلك قالوا في اضرب اضربني أيضا أدخلوا نون الوقاية عليه لتبقى الباء على سكونها » .

وفيه في ج ٦ ص ٢٧٩ :

« العَمر والعُمْر والعُمُر : الحياة ، يقال : قد طال عمره وعمره ، لغتان فصيحتان ، فإذا أقسموا قالوا : لعمرك فتحوا لا غير ، والجمع أعمار ، وسمي الرجل عمرا تفاؤلا أن يبقى[1] » .

فهل يرى السيد محمد عبد الله المدني أن شيخنا أبا العلاء وهؤلاء الأئمة المتقدمين كلهم أجمعين كانوا من اللاحنين ؟ ...

محمد إسعاف النشاشيبي

---

(١) في اللسان : ليل التمام بالكسر لا غير أطول ما يكون من ليالي الشتاء . وفي التاج : تمام الشيء ماتم به بالفتح لا غير ، وليل التمام ككتاب وفي النهاية : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم ليلة التمام هي ليلة أربع عشرة من الشهر لأن القمر يتم فيها نوره ، تفتح تاؤه وتكسر ، وقيل : ليل التمام بالكسر أطول ليلة في السنة وفي الأساس : أحيا ليل التمام والتمام وهو أطول ليلة في السنة .

(٢) لصاحب رغبة الآمل سيد علي المرصفي (رحمه الله) تعليقات كثيرة على أقوال في الكلام ، ولم يقل هنا شيئا بل استعمل (لا غير) أيضا فقال في شرحه « يريد بالكسر فيهما لا غير ، وعن الزجاج قد يفتح قوام الأمر ، وعن أهل اللغة يقال ملاك الأمر بكسر الميم وفتحها وكلاهما نظام الأمر وما يعتمد عليه . الشطاط : حسن القوام وطوله أو اعتداله . وجاءت (لا غير) في الكامل في الرغبة ج ٥ ص ٩٨ .

(٣) اللسان : الحرق احتراق يصيب الثوب من دق القصار ، ابن الأعرابي : الثلب في الثوب من دق القصار جعله مثل الحرق الذي هو لهب النار .

(١) وردت (لا غير) في السفر الثاني (شروح سقط الزند) الذي حققته (لجنة إحياء آثار أبي العلاء المعري) والشارحون هم التبريزي والبطليوسي والخوارزمي ورجال اللجنة هم : مصطفى السقا ، عبدالرحيم محمود ، وعبد السلام هارون ، إبراهيم الأبياري ، حامد عبد المجيد . والتسمية كافية ، أسماؤهم فيها غنى عن وصفهم .

مجـــانين . . . !

للأستاذ علي الطنطاوي

[تعليق على ما كتبه صديقي السيد الأستاذ كامل الشناوي في العدد ١٧١ من الرسالة عن « نيوتن والوزير المغربي » مع تحياتي وأشواقي إليه . . .] « علي »

إذا رأيتم رجلا يمشي في الطريق منفوشَ الشعر ، شارد النظر ، قد لبس معطفه على القفا ، ومشى على غير هدى ... قلتم إنه (مجنون) ... وقد يكون (مجنوناً) ، ولكنه قد يكون فيلسوفاً ... أو شاعراً ... أو رياضياً ... !

وإذا سمعتم أن رجلا لا يفرق بين السراويل والقميص ، ولا بين الجمعة والخميس ، قلتم إنه « مجنون » ... ولكن (أناتول فرانس) ، والمهدة على الراوي (جان جاك بروسّون) دعي إلى وليمة يوم الأحد ، فذهب يوم السبت ولبث ينتظر متعجباً من تأخر الغداء ، ولبثت ربّة الدار تنظر متعجبة من هذه الزيارة المفاجئة ، ثم لم يرض أن يصدق أنه يوم السبت ... فهل كان (أناتول) نابغة قومه في البلاغة وباقعة العصر مجنوناً ؟ !

وإذا شاهدتم رجلا يعتزل في كوخ ، أو ينفرد في غار ، لا يقبل على الدنيا ، ولا يكلم الناس قلتم إنه (مجنون) ، ولكن (الغزالي) عاف الدنيا وقد اجتمعت له ، والمجد وقد أقبل عليه ، والرياسة وقد أتته منقادة تسعى إليه ، وحبس نفسه في أصل منارة الجامع الأموي في دمشق ، فهل كان (الغزالي) حجة الإسلام وعلم الأعلام مجنوناً ؟ !

وإذا بلغكم أن إنساناً نسي اسمه قلتم إنه (مجنون) ، ولكن (الجاحظ) نسي كنيته وطفق يسأل عنها حتى جاءه ابن حلال بالبشارة بلقياها ، فقال له : أنت أبو عثمان ؟ فهل كان (الجاحظ) عبقري الأدب ، واسان العرب مجنوناً ؟

* * *

ونيوتن ... وقد كان في داره قطة ، كلما أغلق عليه بابه ، وقعد إلى كتبه ومباحثه ، أقبلت تُخَرمش الباب وتخشخش بأظفارها فتشغله عن عمله حتى يقوم فيفتح لها ، فلما طال عليه الأمر كدّ ذهنه ، وأطال بحثه ، فاهتدى إلى المَخْلَص ... ففتح في أسفل الباب فتحة تمرّ منها فاستراح بذلك من شرها ... ثم ولد لها ثلاث قطيطات ففتح لكل واحدة منها فتحة ... لم يستطع هذا العقل الكبير الذي وسع قانون الجاذبية أن يتسع لحقيقة صغيرة ، هي أن الفتحة الواحدة تكفي القطة الأم وأولادها !

وآمبير ... وقد كانت تعرض له مسائل في الطريق ، فلا يجد قلماً لها وورقاً ، فجعل معه حوّاراً[1] ، فكلما عرضت له مسألة ، ورأى جداراً أسود ، وقف فخط عليه ، فرأى مرة عربة سوداء واقفة ، فجعل يكتب عليها أرقامه ورموزه ، واستغرق فيها ، حتى سارت العربة ، فجعل يعدو خلفها وحوّاره بيده ، وهو لا يدري ما يصنع !

وهنري بوانكاريه ... وقد دعا قوماً إلى وليمة في داره ، وضرب لها الساعة السابعة موعداً ، فلما حل الوعد وجاء القوم ، كان مشغولا ... فدعوْهُ فلم يسمع ، وألحوا عليه فلم ينتبه ، وكانوا يعرفون شذوذه ، فأكلوا وانصرفوا ... وقام بعد ساعتين فأمّ غرفة المائدة ، فرأى الصحون الفارغة واللاعق المستعملة وبقايا الطعام ، فجعل يفكر : هل أكل أم هو لم يأكل ؟ ثم غلب على ظنه أنه أكل فعاد إلى عمله !

وأمرالله أفندي .. العالم التركي المشهور صاحب المَعْلَمة التركية[2] ، وقد كان يركب البحر كل يوم ما بين داره في (اسكدار) وعمله في (اسطامبول) ، فركب يوماً وكان إلى جنبه موظف كبير في السفارة البريطانية ، وكان في جيبه فستق حلبي ، وكان (أمرالله أفندي) مشغول الفكر ، فجال بيده وهو لا يشعر ، فسقطت في جيب البريطاني ووقعت على الفستق فأخرج منه فأكل ، وظنّ الرجل أنه مزاح ، فسكت ، ولكن الشيخ عاد وأوغل في الأكل حتى كاد يستنفد الفستق كله ، وكان الفستق مزدحماً ما فيه مفر للبريطاني من هذه الورطة ، فأحبّ أن يتلطف بالشيخ حتى يكف ، فسأله : كيف وجدت الفستق؟ قال : « عال ! » وعاد إلى تفكيره وأكله ؛ فقال له : ولكن ليس في جوار الدار مثله أشتريه للأولاد ، وإذا دخلت عليهم من

(١) الحوار : الطباشير لا بأس بهريتها لأن التحوير هو التبييض .

(٢) أي دائرة المعارف ، وبالتهم سموها (معلماً) على وزن (مسجم) .

غير فستق بكوا ... قال الشيخ : « عجيب » ! وعاد إلى الأكل والتفكير ، فقال له : أفلا تتكرم ببقاء شيء لهم ؟ قال : « بلى ، بكل امتنان » ، وأخرج طائفة من الفستق فدفعها إلى الإنكليزي وأكل الباقي !

وقد وُلّي وزارة المعارف وأعطي سيارة ، فكان كلما بلغت به السيارة المنزل ، وفتح له السائق الباب ، أخرج كيسه وسأله: كم تريد ؟ فيقول له : يا سيدي هذه السيارة لمالياك ، فيتذكر ويقول : طيب !

وقد سألته امرأة مرة ، وكان يمشي أمام داره : أين دار وزير المعارف يا سيدي ؟ فقال لها : ومن هو وزير المعارف الآن؟

وصديقنا اللغوي العراقي عبد المسيح وزير[1] ... وقد دخل مرة غرفة غير غرفته في وزارة الدفاع ، وكان (طاب ذكره) من كبار موظفيها ، فرأى أثاثها على خلاف ما كان يعهد ، فغضب ودعا الفرّاش ، وقال له : حوّل هذه المنضدة ، انقل هذا الهاتف[2]، اعمل كذا ، افعل ذاك ... فلما استوت له كما يريد ، نظر فقال : أهذه غرفتي ؟ ! قال : لا ياسيدي ، فانتقل إلى غرفته!

وكنا نزوره أنا وأنور ، فدعا لنا مرة بشاي وتدفق بالحديث ، وهو يشرب كأسه ، فلما فرغت ، ضمها وتناول كأس الأستاذ العطار فشربها ، ثم ثلّث بكأسي ، فلما جاء الفراش يأخذ الكؤوس ، قال : سألتكم بالله ، هل تريدون كأساً أخرى ؟ !

وشيخ الشام ومربي الجيل الشيخ طاهر الجزائري ، وقد حدثني الشيخ قاسم القاسمي أنهم احتالوا عليه حتى اشتروا له جبة جديدة وألبسوه إياها ، وذهبوا به إلى دمّر فجلسوا حول البركة العظيمة في منزل الأمير عمر ، وكان في المجلس الشيخ عبد الرزاق البيطار ، والشيخ جمال الدين القاسمي ، وجلّة العلماء ، فما كان من الشيخ طاهر إلا أن قام فنزع الجبة ، وجعل يغمسها في البركة ، ثم يدلكها بالتراب ، ثم يغمسها ، ثم علقها على غصن حتى جفت ونكّرشت فلبسها وقال : الآن استرحت ، إن الجبة الجديدة تشغل فكر صاحبها ، أما العتيقة فإنه لا يبالي بها فينصرف إلى تفكيره ...

(١) وخبرت أنه وضع كتاباً في ذهول العلماء ولم أره ، وأنكر أحد تلاميذي في العراق إذا تكرم فأهداه إلي

(٢) لا يعرف اللغويون في الشام إلا بالهاتف .

٤٨ . ٢٦

وصديقنا الكبير سامي بك العظم مفتش المعارف العام ، وقد حدثني من فمه أنه دعا (فلاناً) وكان رئيساً للوزراء إلى الغداء في داره في أقصى المهاجرين ، فلما كان اليوم الموعود جاء الرئيس بسيارته إلى باب المنزل ، فنزل منها وصرف السائق لئلا يطول عليه الانتظار ، واجتاز الحديقة الممتدة ، وصعد الدرج العالي ، وقرع الباب ، فلم يرد أحد عليه ، فعاد إلى البلد ماشياً في شمس الهاجرة من آب[1]. أما سامي بك ، فقد نسي الموعد ، ولم يكن في الدار أحد ، لأن أسرته في القاهرة ، فذهب فتغدى في المطعم!

وصديقنا الأديب العالم الراوية عز الدين التنوخي ، وقد دعا للبحث في إعداد مهرجان المتنبي من ستين جمهرة من أدباء البلد إلى المجمع العلمي يوم كان سكرتيره ، فلما جاؤوا وجدوا المجمع مغلق الباب ، فذهب بعضهم إلى دار الأستاذ يسأل عنه خشية أن يكون به مرض ، وإذا هو يشتغل بتحقيق كتاب أبي الطيب اللغوي ، وإذا هو يحدثهم عن الكتاب ، أما حكاية الدعوة ، فقد نسيها من أساسها !

***

أفكان هؤلاء ، وفيهم كل عبقري عَلَم ، وكل نابغة إمام ... أكانوا كلهم مجانين ؟

أما في رأي الناس ، فنَعَمْ !

ذلك لأن القافلة تمشي ، فمن سايرها عدّه أهلها عاقلا ، ومن تقدم عنها يسلك طريقاً جديداً قد يكون أقرب وآمن ، عدّوه مجنوناً ، كمن تأخر عنها ليتيه في مجاهل الصحراء !

لكن ذاك جنون العبقرية ، وهذا جنون المارستان !

إن العبقري شغل بالعلم فكره كله ، فلم يبق منه شيء لفهم الحياة ، فصار عند أهلها مجنوناً !

وبين جنون العبقرية وجنون المارستان نوع ثالث ، ألا وهو جنون الغرام :

وكل الناس مجنون ولكن على قدر الهوى اختلف الجنون

والهوى ... يا ويح الهوى ، ما أكثر شعابه ، وما أضلّ أوديته ؟ !

الهوى ... ومنذا الذي لم يته في واد من أوديته ، ولم يسلك شعباً من شعابه ؟

(١) أغسطس

إنّ من لم يهوَ الغيد الحسان ، هَوِيَ الرياض والجنان ، أو الأصفر الرنان ، ومن لم تفتنه العيون التي في طرفها حور ، فتنته الشهرة واستهواه الجاه ... كل الناس مجنون ، ولكن أخطر المجانين : مجانين الهوى !

* * *

وهل في الدنيا أشد جنوناً ممن ينكر الحياة ويعرض عنها ، لا يريد أن يبصر وجهها ، ويراها سوداء في عينيه لا تنيرها الشمس ولا يضوّنها القمر ، كل ذلك لأن (امرأة) لم تمنحه قبلة ... يا حفيظ ! اللهم إنا نسألك السلامة !

أما عرفتم مجنون « ليلى » ؟ هذا الذي زهد في المجد والرفاهية والعلم والمال والجنة ... واجتوى حياة البشر ، وهام مع الوحش في البرية ، وملأ أيامه حسرة وكآبة وغماً ، لأن - لأن الله خلق عيني ليلى سوداوين فتانتين ، وجعل أنفها رقيقاً دقيقاً ، وبرأ فمها أحمر كالوردة ، حلواً كالسكر ، صغيراً لا يعرف إلا لغة القبل ...

نعم ، إنه جُنّ لأن الله لم يخلق ليلى هذه قبيحة شوهاء !

لقد كان يعيش قبل أن يعرف ليلى كما كان يعيش سائر أبناء آدم ، وكانت حياته كاملة سعيدة من غير ليلى ، فاشتهى يوماً أن يدنو من امرأة كما يشتهي كل رجل ، فقادته المصادفة إلى ليلى ، فأرادها ... فلم يصل إليها فُجنّ ... ولو كان عاقلا لرأى في كل امرأة في الدنيا غناء من ليلى ... إن مثَلَه مثل رجل أراد أن يدخل بيتاً له مئة باب ، فطرق باباً منها وعالجه ، فلم يفتح له ، فوقف يبكي وينتحب ، شوقاً إلى الدخول ، ويضرب الجدار برأسه ، والأبواب التسعة والتسعون مفتحة أمامه !

وإن لكل رجل (ليلى) :

كل يغني على ليـــلاه متخذاً ليلى من الناس أو ليلى من الخشب

فإن فاتته ليلى الناس أجزأت عنها ليلى الخشب ، فما بال قيس؟ أو لم يخلق الله في النساء جميلةً إلا ليلاه ؟ أوليست المصادفة هي التي ألقتها بين يديه ، ولو كان رأى سعدى أو سلمى ، لكان مجنون سلمى أو سعدى ؟

* * *

وهذا مجنون آخر هو ستيفن مجنون ماجدولين :

ولقد عرفته مذ نقله إلى الشرق إمام الكاتبين المنفلوطي رحمة الله على روحه ، ثم رأيت وجهه الفرنسي الأصيل في يوم كنت فيه أنا أيضاً مجنوناً يفكر بأعصابه لا بدماغه ، ويرى الدنيا كلها خلوة من خلوات الحب ، والحياة قصة من قصص الغرام ، والوجود كله وجه فتاة فتاة ... وقاتل الله الصبا وحماقات الصبا ... عرفته يومئذ قرأته (مجنوناً) بطلا من أبطال الحب ، وشهيداً من شهداء العاطفة ، ولكني عدت إليه اليوم ، وقد عقلت ، أو كدت ، فإذا هو ... أعوذ بالله !

يقول المجانين : إن الحب يطهر النفوس ويزكيها ، ويوسع آفاقها وينميها ، ويسمو بها ويعليها ، فتعالوا اسمعوا حديث هذا المحب الفرنسي ما صنع به الغرام :

هجر أباه وتبرأ منه ، وأنكر حق أبوّته ... ثم ذهب أخوه إلى المعركة وخاف أن يسقط عن سرجه ، فبعث إليه يسأله ثمن سرج جديد ، فلم يرد عليه ، لأنه يحتاج إلى المال لينفقه فيما هو أهم ، يريد أن يستأجر به مقعداً في المرقص يرى منه وجه ليلاه ، أي ماجدولينته ، فسقط أخوه عن سرجه ، ومات في المعركة ... ثم فارق أباه وبقي في العراء ، فأحسن إليه واحد من أقربائه ، وأعطاه ما يبتغي من المال ، فكانت مكافأته إياه على إحسانه أن سرق ماله ، ودفع في صدره ، فعجل موته ...

فعل ذلك كله من أجل امرأة ، أضاع كل شيء ليجدها ، ولكنها أعرضت عنه ، ومالت إلى غيره ... إلى صديقه الذي قاسمه خبزه ، وشاركه فراشه ، صديقه الذي سلبه سريره من تحته ، فباعه لينفق ثمنه على مآربه وهواه ؛ وهذا المجنون المنفل لا يحس ولا يدري ، لأن الحب أعماه وأصمه . وهل رأيتم محباً له بصر ؟ أعرضتْ عنه ، ولها الحق في الإعراض ... هل تتزوج مجنوناً ؟ إن الزواج إذا بني على هذا الجنون الذي يسميه أصحابه « حباً » ، صار البيت من بعده مستشفى مجاذيب ، ومارستاناً من المارستانات ! !

تزوجت بغيره ، فذهب ينتزعها من زوجها الشرعي ، ويرى أنه أحق بها ، لأن اسمه واسمها منقوشان على شجرة زيزفون ...

ما شاء الله كان ! إنك تستطيع أن تأخذ المرأة من بين ذراعي زوجها ، لأنك حفرت اسمها مع اسمك على شجرة ... اسمعوا يا عقلاء (وأين العقلاء) شريعة المجانين ... اسمعوا منطق الحب !

هذا هو الحب الفرنسي : تفريط بحق الأسرة ، واستهانة بواجبات الشرف والدين ، واستئثار قاتل يمحو من الحياة أسمى فضائلها ، لهذه اللذة التي ينالها ، ويفقر النفس العامرة بالإيمان والفضيلة والمجد ، ولا يبقى فيها إلا صورة الحبيب ، يراه العاشق في الأفق إذا نظر إليه والشمس واقفة للوداع ، وفي السماء إذا تأمل فيها ونجومها تتوقد في هدأة الليل ، وفي صفحة الماء والروض البهيج ، وفي كل كتاب يقرؤه ، ومشهد يراه :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

فيا رحمتا لهؤلاء المجانين ! إنهم عُمْي لا يبصرون من الدنيا إلا وجه امرأة واحدة ... صُمّ لا يسمعون إلا صوتها ... بُلْه لا يشتغلون إلا بها ... مجرمون لا يبالون بكل رذيلة إذا أوصلتهم إليها ... أذلاء لأنهم فقدوا الرجولة والكرامة ، وغدا المثل الأعلى لهم أن يطيعوا هذه الرعناء الطائشة ... لأن لها عيناً بلون السماء وزرقة البحر ...

هذا هو الحب يا أيها الشباب الصغار !

* * *

كل عاشق هو (ستيفن) ، ولو تناءت الديار ، وتباعدت الأزمان ، فاقرأوا سيرة ستيفن تقرأوا سيرة كل عاشق ...

لقد ارتضى أن يخسر كل شيء ليربح ماجدولين ، فلما خسرها لم يبق له شيء ... لقد غدا مجنوناً ... وهل يمكن أن يكون محب عاقلا ؟ ها هو ذا يحرق الورقة المالية التي لا يملك غيرها ... ليقرأ على ضيائها رسالة الشيطانة ... أعني الحبيبة ، ويبقى من بعدها طاوياً يتضور جوعاً ، لا يدري أن أحلام الحب وحماقاته لا تملأ المعدة الفارغة . وأن الرغيف الواحد أثمن عند الجائع من كل ما في الأرض من لَيْلَيَات وماجدولينات ... لقد غدا تائهاً يدور في السبل والطرقات ... وينام حيث يدركه المنام ... لقد صيّره الحب موجوداً كالمعدوم ... صار عضواً من الأمة أشلّ لا ينفع ولا يضر ، بل إنه يضر ولا ينفع ! !

لقد سَدّ في وجهه طرقَ المجد ، وحجب عن باصرتيه نور الشمس ، فلم يبق فيه فائدة لنفسه ولا للناس ، بل لقد صار هُزْأة وغدا مَسْخَرة ... وكذلك يكون العاشقون !

وينال هذا المجنون خمسة عشر ألفاً يستطيع أن يصنع بها الجلائل ، ويرفع بها لنفسه ولأمته مجداً ... فما ذا صنع بها ؟ دفعها إلى عابر سبيل لا يعرفه ... فما أكرم هؤلاء العشاق الذين يمنحون ثروتهم كلها إلى من لا يعرفون ، ويضن الواحد منهم على أخيه بثمن سرج لفرسه ، ويتركه يموت في المعركة ... !

ثم يأتيه المال الوفير ، فينفقه في أتفه الأمور وأحط الرذائل ، يستأجر مقاصير المسرح كلها ، ويرى الرواية وحده ... لما ذا ؟ ليغيظ المرأة التي أحبها فتزوجت بغيره ، لأنها تريد أن يكون زوجها رجلا مثل الرجال ، لا امرأة لها شاربان ولحية ولا عقل لها ، ثم يترقى ستيفن في فضائل الحب ، فينتهي إلى الغصب والنهب من حانة ... ويعلن جنونه ليهدم به الحياة البشرية ، فيزعم أن الحب أقدس الواجبات ، والزواج شر الرذائل ، ثم تختم هذه الحياة النبيلة ... السامية ... بجريمة القتل !

هذا هو مجنون ماجدولين ، وذاك مجنون ليلى ... أما سائر المجانين ، فهم بقية العاشقين !

* * *

فإذا كان في الدنيا جنون عبقرية ، وجنون مارستان ، فإن جنون الهوى هو جنون الإجرام ، لا سيما إذا كان هوى على الطريقة الفرنسية ...

فيا أيها الشباب الصغار ! إذا لم يكن بدّ من الجنون ، فلنجنّ بالمعالي والمكارم والعلم والفن ، أو لنكن المارستان ...

أما المرأة ، فصدقوني إذا قلت لكم : إنها لا تستحق أن يُجنّ بها أحد ! !

(دمشق) علي الطنطاوي

يصدر قريبا :

كتب وشخصيات

للاستاذ سيد قطب

على هامش النقد :

« دفاع عن البلاغة »

تأليف الأستاذ الزيات

للأستاذ سيد قطب

— ١ —

شغلتني الشواغل عن قراءة هذا الكتاب عند ظهوره ، اعتمادا على أنني قرأت معظم فصوله منشورة في « الرسالة » ... فلما عدت إليه في هذه الأيام ، وأنا أستعرض كتب النقد الحديث في المكتبة العربية عامة ، وجدت أنني كنت مخطئا في اعتمادي على ما قرأته فصولا في الرسالة . فقراءة هذه الفصول شيء ، وقراءة كتاب كامل في موضوع معين شيء آخر . ووجدت أن القضية التي يعرضها الكتاب جديرة بأن تطول حولها الشروح والتعليقات ، والمناقشات ، في هذا الأوان بالذات .

فللمرة الأولى بعد كتابَيْ « عبد القاهر » في القرن الرابع الهجري ، تعرض قضية البلاغة على بساط البحث في هذا المحيط الشامل ، وتناقش بوصفها وحدة في بحث مستقل ، لا في صدد دراسة لكاتب أو كتاب[1] .

ونحن قد نخالف الأستاذ في الكثير من قضايا هذا الكتاب كما نوافقه على أسس معينة لهذا البحث . ولكن هذا كله شيء آخر لا يمس القيمة الذاتية للكتاب في المكتبة العربية بوصفه أول علاج شامل لقضية البلاغة بعد كتابي عبد القاهر . لا يقف فيه مؤلفه عند الأدب العربي وحده ، بل يسترشد كذلك بالنقاد الفرنسيين ، وبتطور المذاهب الأدبية هناك ، كما يسترشد بالنقاد العرب ، وتطور الأساليب في العصر الحديث .

وعنوان الكتاب قد يدل على موضوعه دلالة كافية « دفاع عن البلاغة » والأستاذ الزيات أولى الكتاب المعاصرين بالدفاع عن البلاغة . فهو صاحب « مذهب التنسيق التعبيري » كما وضعت له عنوانه في كتابي القادم : « المذاهب الفنية المعاصرة » . ذلك المذهب المتفرع عن المذهب الفلوطي ، صاحب « مذهب الابتداع التعبيري » . والذي يجعل للتعبير وتنسيقه أهمية كبرى في الفن بل الذي يجعل الفن هو أساس هذا « التنسيق التعبيري » .

* * *

نحن نتفق مع الأستاذ في أساس القضية ، وهو أن العمل الفني في الأدب لا يوصف بالجودة إلا أن يتهيأ للفكرة الجيدة ، أو الإحساس الجيد ، أسلوبا جيدا ، وعبارة جيدة . وأن التعبير ليس نافلة في العمل الفني في الأدب ، وأنه لا يفسد ويرك ويتعقد ثم تبقى لهذا العمل قيمته الفنية .

« فالفكرة والصورة في الأسلوب كل لا يتجزأ ، ووحدة لا تتعدد . وليس أدل على اتحادهما من أنك إذا غيرت في الصورة تغيرت الفكرة ، وإذا غيرت في الفكرة تغيرت الصورة . فقولك : أعنيك ، غير قولك : إياك أعني . وقولك : كل ذلك لم يكن ، غير قولك : لم يكن كل ذلك . وقولك : ما شاعر إلا فلان ، غير قولك : ما فلان إلا شاعر . فترتيب الألفاظ في النطق لا يكون إلا بترتيب المعاني في الذهن ... ص ٦٠

« من ذلك نرى أن الأسلوب خلق مستمر : خلق الألفاظ بواسطة المعاني ، وخلق المعاني بواسطة الألفاظ . ومن ذلك أن الأسلوب ليس هو المعنى وحده ، ولا اللفظ وحده ، وإنما هو مركب فني من عناصر مختلفة ، يستمدها الفنان من ذهنه ومن نفسه ومن ذوقه . تلك العناصر هي الأفكار والصور والعواطف ثم الألفاظ المركبة ، والمحسنات المختلفة . والمراد بالصورة إبراز المعنى العقلي أو الحسي في صورة محسة . وبالعاطفة تحريك النفس لتميل إلى المعنى المعبر عنه أو لتنفر منه » . ص ٦٢

أوافق الأستاذ على هذا الأساس الذي عبرت عنه على طريقتي في كتاب « التصوير الفني في القرآن » والذي سبقنا إليه الإمام عبد القاهر فعبر عنه على طريقته في كتابه « دلائل الإعجاز » .

ولقد قررت هذه الحقيقة هناك بهذه الفقرات :

« وبعض الناس حين ينظر في هذه الموضوعات (موضوعات القرآن) ويرى ما فيها من دقة وعظمة ، وصلاحية ومرونة ،

(١) يقال : إن هذه القضية عرضت في كلية الآداب بالجمعة المصرية وأنا لا أدري كيف عرضت هناك ولا في أي محيط عرضت . وأحسب أن الناس كذلك لا يدرون شيئا عن هذه المحاولة الموضعية .

وإحاطة وشمول ، يحسبها ميزة القرآن الكبرى ، ويحسب أن طريقة التعبير القرآنية تابعة لها ، وأن الإعجاز كله كامن فيها ، كما أن بعضهم يفرق بين المعانى وطريقة الأداء ، ويتحدث عن إعجاز القرآن فى كل منهما على انفراد .

« أما نحن فنريد أن نقول : إن الطريقة التى اتبعها القرآن فى التعبير ، هى التى أبرزت هذه الأغراض والموضوعات ، فهى كفاء هذه الأغراض والموضوعات .

« ولا يردنا هذا إلى تلك المباحث العقيمة حول اللفظ والمعنى وقد استغرقت من النقاد العرب ما استغرقت منذ أثارها الجاحظ فزعم أن المعانى ملقاة على قارعة الطريق ، ثم تابعه فى البحث ابن قتيبة وقدامة وأبو هلال العسكرى وغيرهم مخالفين ومؤيدين . وإنا لنحسب أن « عبد القاهر » قد وصل فيها إلى رأى حاسم حين انتهى إلى أن اللفظ وحده لا يتصور عاقل أن يدور حوله بحث من حيث هو لفظ ، إنما من حيث دلالته يدور البحث فيه ؛ وأن المعنى وحده لا يتصور عاقل أن يدور حوله بحث من حيث هو خاطر فى الضمير ، إنما من حيث أنه ممثل فى لفظ يدور البحث فيه . وأن المعنى مقيد فى تحديده بالنظم الذى يؤدى به ، فلا يمكن أن يختلف النظمان ثم يتحد المعنى تمام الإتحاد .

« لم يصغ « عبد القاهر » القضية هذه الصياغة المختصرة ، فنحن نترجم عنه ، وإلا فقد استغرق فيها كتابا لا نستطيع نقله هنا ، ولكن له فضله العظيم فى تقرير هذه القضية ، ولو خطا خطوة واحدة فى التعبير الحاسم عنها لبلغ الذروة فى النقد الفنى . فنحن نقول عنه : إن طريقة الأداء حاسمة فى تصوير المعنى ، وإنه حيثما اختلفت طريقتان للتعبير عن المعنى الواحد ، اختلفت صورتا هذا المعنى فى النفس والذهن . وبذلك تربط المعانى وطرق الأداء ربطا لا يجوز الحديث بعده عن المعانى والألفاظ كل على انفراد ، فلن يبرز المعنى الواحد إلا فى صورة واحدة ؛ فاذا تغيرت الصورة تغير المعنى بمقدارها . وقد لا يتأثر المعنى العام فى ذاته ، ولكن صورته فى النفس والذهن تتغير . وهى المعول عليها فى الفن — إذ التعبير فى الفن للتأثير — فاذا اختلف الأثر الناشىء عنه فالمعنى المنقول مختلف بلا مراء » . ص ١٩٠

ويرتب الأستاذ الزيات على هذه الحقيقة نتائجها الطبيعية التى رتبها عليها بعض النقاد فى الشرق والغرب ، ولكن فى شىء من الحماسة قد يجاوز القصد . قال فى ص ٦٦

« وقد غالى علماؤنا البيانيون ، فزعموا أن المعانى شائعة مبذولة لا يملكها المبتكر ولا السابق ، وإنما يملكها من يحسن التعبير عنها ، فمن أخذ معنى بلفظه كان سارقا ، ومن أخذه ببعض لفظه كان له سالخاً ، ومن أخذه فكساه لفظا أجود من لفظه كان هو أولى به ممن تقدمه[1] .

« على أن هذا الرأى الجرىء لم يكن من رأى العرب وحدهم وإنما يراه معهم (بوفون) وأشياعه من كتاب الفرنج ؛ فقد قرر فى خطبته عن « الأسلوب » التى ألقاها يوم دخل الأكاديمية الفرنسية : إن الأفكار والحوادث والمكتشفات شركة بين الناس ، ولكن الأسلوب من الرجل نفسه .

« نعم قال (بوفون) : إن الأسلوب من الرجل نفسه ، ولم يقل : إن الأسلوب هو الرجل ، كما شاع ذلك على الألسنة . ولم يرد بما قال ، إن الأسلوب ينم عن خلق الكاتب ، ويكشف عن طبعه كما فهم أكثر الناس ؛ وإنما أراد أن الأسلوب ، ويعنى به النظام والحركة المودعين فى الأفكار ، هو طابع الكاتب وإمضاؤه على الفكرة ؛ ومعنى ذلك أن الأفكار تكون قبل أن يفرغها الفنان فى قالبه الخاص ، من الأملاك العامة ؛ فاذا عرف كيف يصوغها على الصورة اللازمة الملائمة تصبح ملكا خالصا له ، تسير فى الناس موسومة بوسمه ، وتعيش فى الحياة مقرونة باسمه ، فالأسلوب وحده هو الذى يملك الأفكار وإن كانت لغيرك . ألا ترى أن أثر الأخلاق فى بقاء الأمم وفنائها معنى من المعانى المأثورة المطروقة ، فلما أجاد شوقى سبك اللفظ عليه فى بيته المشهور :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

أصبح بهذه الصيغة من حسناته المعدودة ، وأبياته المروية ! »

ونحن — على اتفاقنا مع الأستاذ فى المبدأ السابق — نختلف معه هنا كما نختلف مع الجاحظ صاحب نظرية المعانى الملقاة على قارعة الطريق .

فإن كون العمل الفنى يتألف من المعنى والصورة ، بحيث

(١) الصناعتين ص ١٤٦ .

لا يمكن الفصل بينهما . لا يقتضى أن تكون الصورة وحدها هى العمل الفنى الذى يثبت ملكيته لمن يجيده ، ولا يقتضى كذلك أن تكون جودة الصياغة كفيلة برفع المعنى إلى مرتبة الجودة ، كما جاء فى بحث الأستاذ فى مكان آخر حيث يقول فى ص ٧٣ :

« إذا حلى فى صدرك بعد ذلك أن تذهب إلى ما ذهبت إليه من أن تجويد الأسلوب يتضمن تجويد الفكرة ويضمن خلودها فدعك من أولئك الذين عادوا الكمال الفنى بطبائعهم .. الخ »

أو حيث يقول فى ص ٢٦ :

« وليس أدل على أن الشأن الأول فى البلاغة إنما هو لرونق اللفظ وبراعة التركيب ، من أن المعنى المبذول أو المرذول أو التافه قد يتسم بالجمال ، ويظفر بالخلود ، إذا جاد سبكه وحسن معرضه . ولا بأس أن أقدم إليك مثلا من آلاف الأمثلة ، بلغ معناه الغاية فى السوقية والفحش ، ومع ذلك تحب أن تسمعه وتحفظه وتعيده لأنه بلغ من سر الصناعة غاية تطلع دونها أكثر الأقلام .

« قال أبو العيناء الأعمى لابن ثوابة : بلغنى ما خاطبت به أبا الصقر ، وما منعه من استقصاء الجواب إلا أنه لم ير عرضا فيمضغه ، ولا مجدا فيهدمه .

« فقال له ابن ثوابة : ما أنت والكلام يا مكدى[1] ؟

« فقال أبو العيناء : لا ينكر على ابن ثمانين سنة ، قد ذهب بصره ، وجفاه سلطانه ، أن يعوّل على إخوانه ، ثم رماه بمعنى فاحش مكشوف . فقال ابن ثوابه :

« الساعة آمر أحد غلمانى بك .

فقال أبو العيناء :

« أيهما ؟ آلذى إذا خلوت ركب ، أم الذى إذا ركبت خلا ؟ »

فانظر فى هذه الجملة الأخيرة ترى ابن ثوابة فى نفسه وفى زوجه ، وهما معنيان سوقيان يترددان كل ساعة على ألسنة السابين من أوشاب العامة . وإنك مع ذلك تقف من هذه الجملة موقف المشدوه المعجب ، تحركها لسانك ، وتعمل فيها فكرك ، وتعرضها على مقاييس البلاغة وشروطها ، فتطول على كل قياس وتزيد على كل شرط » .

(١) المكدى : من يسأل الناس .

إلى أن يقول فى ص ٢٨ :

« فأنت ترى أن الصياغة وحدها هى التى سمت بهذه المعانى الحسيسة إلى أفق البلاغة فتداولتها الألسن ، وتناقلتها الكتب . وليس حال المعنى فى ذلك حال اللفظ ، فإن اللفظ فى ذاته كالموسيقى يخلب الأذن ، ويلذ الشعور وإن لم يترجم . أما المعنى فكالكهرباء ، إذا لم يكن لفظه جيد التوصيل ، انقطع تياره ، فلا يعرب ولا يطرب . اقرأ قول القائل :

لما أطعنا كم فى سخط خالقنا لاشك سلّ علينا سيف نقمته

« ثم وازن معناه الشريف ونسجه السخيف ، بما رويت لك من كلام أبى العيناء ، فلا يسعك إلا أن تقول كما أقول :

« إن القذر يوضع فى آنية الذهب فيقبل ويحمل ، وإن المسك يوضع فى تالجة الطين فيرفض ويهمل »

ونريد نحن أن نقف عند الحقيقة الأولى التى اتفقت فيها مع الأستاذ كل الاتفاق ، فتجاوزها قد يوقع فى الزلل

والسبيل الأقوم فى هذا المجال أن نقول :

إن العمل الفنى لا يكون بالفكرة الجيدة المبتكرة وحدها ، ولا بالإحساس الصادق الجميل وحده ، إنما يتم بالصورة الجميلة التى يبرز فيها المعنى والإحساس

أما الصورة وحدها ، فلا تستطيع أن تخلق فناً إنسانياً خالداً إذا خلا من الإحساس الجميل الصادق ، ومن الفكرة العميقة المبتكرة ، ومن التصور الفذ الخاص ، هذه العناصر التى يجب أن يحسب لها حسابها فى كل فن يراد له السمو أو الخلود

وأقصى ما تصل إليه الصياغة أن ترفع المعنى أو الإحساس فى صورة عنه فى صورة أخرى ، ولكنها لا ترفع بذاتها عملا فنياً على عمل فنى آخر ، إذا ارتفعت فى الأول مع سفول معانيه ، وانخفضت فى الثانى مع ارتفاع قيمته

إنها تصلح مقياساً حين تتحد الفكرة أو المعنى العام ثم تختلف الصورة ، ولكنها لا تصلح للقياس الدقيق حين يكون هناك فكرتان أو معنيان يختلفان فى قيمتهما الإنسانية والشعورية

وهذه كلمة أبى العيناء ، إنها ستبقى — على براعة صياغتها — مجرد نكتة لاذعة ، لا تتسامى إلى الآفاق الشعورية فى الفن العالى ، وكذلك سيبقى بيت « شوقى » حكمة مكرورة شائعة ، ولكنها

لا تسلك فى مستوى الحكمة النابعة من طبع ذى خصوصية وامتياز . أما البيت الذى استشهد به الأستاذ على ما تصنعه الركة بالمعنى العالى ، فهو صالح كذلك للاستشهاد به على سوقية التفكير ، إذ لا خصوصية ولا ارتفاع عن تفكير العوام

والخصوصية فى الأحاسيس والمشاعر والأفكار شىء ثابت ، وله قيمته التى لا تنكر ، وهى مناط الأصالة فى الفن ، وكل ما نريده هو القول بأن هذه الخصوصية لا تبدو كاملة إلا فى صورة جيدة الصياغة ، وفى أصالة أسلوب وتعبير تكافئ أصالة الشعور والتفكير ، وإلا بقيت مطموسة ناقصة لا تبدو فى جلالها الكامل ، ولا ترقى إلى الآفاق العالية فى الفنون

وقد تحدث الأستاذ عن الأصالة والخصوصية فى الأسلوب حديثاً فى غاية الجودة والصحة حين قال فى ص ٨٢ :

« يراد بالأصالة فى الأسلوب بناؤه على ركنين أساسيين من خصوصية اللفظ وطرافة العبارة ، وتلك هى الصفة الجوهرية للأسلوب البليغ ، والسمة المميزة للكاتب الحق . وملاك الأصالة ألا تكتب كما يكتب الناس ، ملاكها أن تكون أصيلا فى نظرتك وكلمتك وفكرتك وصورتك ولهجتك ، فلا تستعمل لفظاً عاماً ، ولا تعبيراً محفوظاً ، ولا استعارة مشاعة . ولعلك قرأت فيما قرأت كلاماً يرضى اللغويين ويعجب النحاة ، ولكنه مضطرب الدلالة ، مختلط الألوان ، تفه المذاق ، لا تستقله روح ، ولا تمثله صورة . ذلك هو الأسلوب الذى صدر عن الذاكرة ، ولم يصدر عن الذهن ، ونقل عن الناس ولم ينقل عن النفس ، وعبر بالجمل لا بالكلمات ، وأبان بالتقريب لا بالدقة ، وصور بالسوق المبتذل لا بالأصيل المبتكر »

وكان من حق الأصالة فى الشعور والتفكير أن تنال من الأستاذ ما نالته الأصالة فى الأسلوب والتعبير ، فالمعانى والأحاسيس ليست شائعة ملقاة على جانب الطريق ، وإلا فأين تذهب الطبائع الأصيلة الممتازة التى ترى الدنيا والأشياء بعين خاصة ، فإذا هى تعيش فى كون خاص بها من صنع أحاسيسها وتفكيرها ؟

تلك فلتة من فلتات الحماسة للبلاغة من صاحب « دفاع عن البلاغة » يرد بها الغلو فى إنكار قيمة التعبير ، فيجعل المزية كلها للتعبير

على أن الأستاذ يعود فيضع الأمر فى نصابه إلى حد كبير فى ص ٧٨ حين يقول :

« خلص لنا من تمحيص هذه الأحاديث أن الأسلوب الفنى يتكون من الصورة والفكرة ، كما يتكون الماء القراح من الهدروجين والأكسيجين . وكما استحال فى فن الطبيعة أن يتكون الماء من أحد عنصريه ، فقد استحال فى فن الإنسان أن يتكون الأسلوب من أحد جزأيه . ولا أقصد وجه الشبه بين الأسلوب والماء على أن تركب هذا وذاك من عنصرين ضربة لازب ؛ إنما أمدُّ الشَّبه إلى أن نسبة الصورة إلى الفكرة فى الأسلوب يجب أن تكون كنسبة الهيدروجين إلى الأكسيجين فى الماء ! وإذن لا بد من الأساليب الفنية تلك المعانى الحكيمة التى تعرض فى معرض بشع من الركاكة والغثاثة والتعقيد والخطأ ، ولا تلك الصور المموهة التى تنتفخ انتفاخ الفقاقيع ، وتبرق بريق الشرر ، ثم لا يكون من ورائها غير فراغ وظلمة »

فى هذا التقرير قصد ودقة تعود بنا إلى الحقيقة الأولى التى اتفقنا عليها ، وتحسب لكل من الفكرة والصورة حسابها الصحيح

للكلام بقية

سيد قطب

الأستاذ صلاح الدين المنجد يقدم كتابه الجديد :

الظرفاء والشحاذون
فى العصر العباسي

وهو كتاب طريف لطيف ممتع

لا تستطيع أن تتركه حتى تقرأه كله

وقد طبع فى « مطبعة الرسالة » طبعا متقنا

يطلب من دار « الرسالة »

ومن المكاتب الشهيرة وثمنه ١٢ قرشاً غير أجرة البريد

الأدب فى سير الأعلام :

ملـــتن

[الفيثارة الخالدة التى غنت أروع
أناشيد الجمال والحرية والخيال ...]

للاستاذ محمود الخفيف

— ١٦ —

بعد أوبته من إيطاليا :

آب ملتن إلى وطنه بعد أن غاب عنه سنة وثلاثة أشهر ! وكانت الحرب بين انجلترة واسكتلندة فى أولى مراحلها ؛ وكانت السياسة الداخلية دائبة فى عصفها لا تكاد تجنح إلى السكون حتى تهب ريحها عاتية من كل جانب .

وكان يتوقع منه بادى الرأى وقد آثر العودة إلى بلاده على المضى فى رحلته حياء منه ، كما ذكر ، أن يستمتع بالرحيل والأحرار فى وطنه يعانون ضروب البلاء ، أن يلقى بنفسه فى غمار السياسة أنفة منه وحفاظا ودفاعا عن الحرية التى يعشقها والتى ركب فى فطرته الميل إلى نصرتها ؛ ولكنه ركن إلى الدرس ولاذ بالعزلة كما كان يفعل قبل رحيله .

وقد ملأ الحزن جوانب نفسه على صديقه ديوداتى ، وآله ألا يجد مكانه من يستطيع أن يفضى إليه بأنباء رحلته ، ويظهره على ما لقى أثناءها من حفاوة وما اكتسب من حسن السمعة وذهاب الصيت .

والتمس العزاء لنفسه فى مرثية كتبها فأدى بها حق الوفاء لصديقه . وقد اختار لها اللغة اللاتينية كما اختار لها الجو القروى وصور الرعاة وحياتهم ، والذين يعرفون اللاتينية ممن كتبوا حياة ملتن على اتفاق أنها من حيث الفن فى ذاته لا تنزل عن مستوى مرثيته ليسيداس ؛ وأنها من حيث العاطفة أعمق وأصدق من أختها لأن صلة ديوداتى بملتن كانت أوثق من صلة كينج به ، فقد كان ديوداتى قرينه منذ صغره وأقرب خلانه إلى قلبه وأشدهم محبة له ؛ وأخذ ملتن يذكر له فى مرثيته ما كان يحب لولا أن طواه الموت أن يلقيه على سمعه ؛ وجعل ملتن من نفسه ومن صاحبه راعيين كما فعل فى ليسيداس ، وأثنى على خلال صاحبه ولا سيما وفاءه وذكاءه ومرحه وتألم أن كان بعيداً عن وطنه فى غير ضرورة ملجئة فلم ير نهاية صديقه . وأشار ملتن فى هذه المدينة إلى أنه سوف يجد العزاء فى الشعر فيكتب إلياذة عن تاريخ قومه وأساطيرهم جاعلا الملك أرثر وفرسانه أبطال ملحمته متخذاً اللغة الإنجليزية أداته ؛ ولكن هذه الملحمة التى وعد بها ظلت مجرد وعد فقد صرفته عنها شواغل السياسة والدين كما صرفته عن الشعر جميعاً اللهم إلا بضع مقطوعات قصيرة زهاء عشرين عاما ...

وكما أطلق ملتن على ادوارد كنج اسم ليسيداس أطلق هنا على ديوداتى اسم دامون ؛ وكان دامون من مشاهير الفلاسفة ورجال الموسيقى بأثينا ، وكان صديقا وأستاذاً لبركليس ؛ وقيل إنه كان كذلك أستاذاً لسقراط ، وكان مضرب المثل فى الوفاء ، فقد اقترف أحد أصحابه جريمة كان قصاصها القتل ، وعول ملك سيراكوز على قتله فاستأذنه أن ينصرف ليقوم على بعض شؤون أسرته ثم يعود لينفذ فيه القصاص . وتقدم دامون فرضى أن يكون رهينة عند الملك ليقتله بدل صاحبه إن لم يعد فى موعده ؛ وحل الموعد وهم الملك بقتل دامون فجاء صاحبه معجلا فأنقذه ؛ وأثر وفاء الرجلين فى نفس الملك فعدل عن قصاصه وطلب إليهما أن يكون ثالثهما فى هذه الصحبة الوثيقة [1] .

ويجد فى اختيار ملتن هذا الإسم لصاحبه شاهداً من شواهد فنه ، فهو يلمح كما ذكرنا من قبل إلى المعنى الواسع بالكلمة الواحدة ...

واختتم ملتن مرثيته بإشارته إلى موت صاحبه ولم يتزوج ، فذكر الحب وقال إن من حق الشباب أن يحب ، وأن الذى يذوق طعم الحب وقد تقدمت به السن يذوق طعم الحسرة مضاعفا ؛ ثم يبشر صاحبه بأنه سيلقى فى الجنة خير العوض عما فاته فى الدنيا فسيستمتع بزواج خالد فى عرس بهيج من أعراس الفردوس .

ويجد بعض الكتاب فى ذكره الحب وأنه من حق الشباب وفى تأله على موت صاحبه ولم يتزوج تلميحا منه إلى حالته هو ،

(١) (الرسالة) : هذه القصة هى بعينها قصة حنظلة وشريك بن عمرو والنعمان ! راجع (الميدانى) فى شرح المثل : إن غداً لناظره قريب .

وإن خفي هذا التلميح ، ويقولون إن ملتن كان يفكر يومئذ في الزواج وإنه قد مل أن يعيش أعزب .

على أنه يعود إلى القراءة في إقبال لا يقل عن سالف إقباله عليها أثناء مقامه في هورتون ؛ وقد اتخذ له بعد أوبته من إيطاليا مسكنا في لندن فلم يعد إلى القرية . ورضي أبوه الشيخ أن يمده بما يطلب من المال وإن كان لا يزال يعجب ويتألم ألا يتخذ ابنه عملا إلا مالا يبرح يردده من تثقيف نفسه ليكون أهلا لما يستشرف له في دنيا الأدب ؛ وراض الرجل نفسه على سماع هذا وعلى الجود بما يطلب ابنه من المال . والحق أن ابنه لم يطلب منه كثيراً فما كانت به حاجة إلى متع الحياة ولذاذاتها مما يتطلب مالا كثيراً وحسبه من المال ما يشترى به قوته وما يلزم له من الكتب وما يدفع منه أجر مسكنه ...

وضاق المسكن الجديد بكتبه ما اقتناه منها في هورتون وما اشتراه من إيطاليا ، فاتخذ له مسكنا أوسع منه في أطراف المدينة. وهناك عكف على القراءة والدرس تاركا الشؤون العامة إلى « عناية الله أولا ثم إلى من وكل إليهم الناس القيام على هذه الشؤون » .

وأشرف ملتن في مسكنه الجديد على تعليم ابنى أخته وقد قبلهما ليقيما عنده بعد موت أبيهما وزواج أمهما من غيره ، وما لبث أن ضم إليهما عددا من أبناء أصحابه الأقربين ، وأقبل على تعليمهم جميعا في حماسة ولذة لا تقل عن شغفه بالقراءة والدرس . ولقد عجب دكتور جونسون من عمله هذا وسخر منه فأشار إليه بقوله : « إنه ينظر بشيء من الفكاهة إلى ذلك الرجل الذي يبادر بالعودة إلى وطنه لأن قومه يكافحون في سبيل الحرية ، ولكنه لا يلبث وقد بلغ ميدان العمل أن يدع وطنيته تتبخر في مدرسة يفتحها في بيته » .

وأقبل ملتن على تعليم هؤلاء الصبية وعلى القراءة فلا يدع ساعة من نهاره إلا ملأها بعمل حتى أيام الآحاد لم يدع فيها كتبه وأوراقه إلا ريثما يؤدى واجب الدين . وتتبين مما كتبه أحد ابنى أخته فيما بعد عن حياته وأخيه في بيت خالها أنه كان يأخذهما بالجد في غير هوادة ومن كان معهما من أبناء أصحابه ، ولكنا لا نتبين فيما كتب أن ملتن قد اهتدى إلى طريقة خاصة في التعليم أو أنه جرى على أسلوب اقتنع بسلامته وفائدته ، فكل ما ذكره ابن أخته لم يعد الكم ؛ فهو يباهى بأنهم قرأوا كثيرا وتعلموا كثيرا ...

بهذا الدأب وبهذه العزيمة أقبل ملتن على العمل بعد عودته من إيطاليا . على أن ابن أخته يذكر من أنباء تلك الأيام أن خاله كان ينصرف عن العمل كل ثلاثة أسابيع أو كل شهر مرة فيقضى يوما بين نفر من صحابته يستمتعون بالمرح واللهو البرىء .

وماذا كان يقرأ ملتن بعد أوبته من إيطاليا ؟ إنه اليوم شديد الولوع بالتاريخ وعلى الأخص تاريخ قومه ، وإن اللمحة التي داعبت خياله في إيطاليا عن تاريخ قومه أو الآثر يادة ليعاوده حلمها اليوم ويلح عليه . ولقد أشار إليها كما ذكرنا في مرثيته عن صديقه ديوداتى ؛ كما أنه أثبت كثيرا مما يتصل بها في كشكوله الذي اتخذه منذ إقامته في هورتون ليكتب فيه كل ما يعن له من الآراء والملاحظات ...

وأثبت ملتن في تلك الكراسة من الإشارات ما يدل على دراسة شؤون السياسة ، كالمسئلة المالية والضرائب والملكية والجمهورية وحرية الرأى وحرية النشر والقوانين والاستبداد ، وغيرها مما يتصل بأحوال عصره .

ولن يزال يقرأ ويتدبر ، ولن يزال يعتقد أنه لم يفرغ بعد من أهبته لما يجب أن ينهض له من عمل في دنيا الشعر ، نجد دليلا على ذلك في قوله إنه يسابر « ذلك التلقين الباطني الذي يزداد يوما بعد يوم فيوحى إلى أنه بالجد والدراسة المقصودة وهو ما أعده حظى في هذه الحياة مضافا إلى ذلك ميل فطرى قوى ، قد يتأتى لى أن أترك أثرا كتبته لمن يأتى بعدى من الأجيال فلا يدعونه إلى النسيان » .

وما عسى أن يكون ذلك الأثر ومتى ينهض له ؟ لعل الشاعر لم يكن أكثر بينة من أمره فيما يتصل بموضوع ذلك الأثر الخالد منه فيما يتصل بتاريخ البدء فيه ، فأن كراسته تنطوى على نحو مائة موضوع غير الآثر يادة وكثرتها تتصل بالدين ومسائله من عهد آدم وحواء والخروج من الجنة وما إلى ذلك مما يدل بكثرته وتنوعه على حيرة الشاعر بين ما يأخذ وما يدع ... كذلك حار ملتن بين الصور التي يختار واحدة منها لموضوعه ، أيتخذ له الملحمة على نحو ما فعل هوميروس ودانتى ، أم يتخذ له الدراما ؛ أم يترك هذه وتلك إلى سلسلة من الأناشيد مثل أناشيد بندار ،

فلكل من هذه الصور مميزاته ومحاسنه ، ولعل مرد حيرته فى اختيار الصورة إلى أنه لم يحدد الموضوع ، إذ أن الموضوع فى الواقع هو الذى يعين الصورة التى يؤدى فيها .

ومهما يكن من أمر هذه الحيرة فقد قدر على الشاعر أن يدع قيثارته جانبا نحو عشرين سنة لم يكن له فيها أداة إلا النثر اللهم إلا مقطوعات قليلة نفس بها عن صدره فى بعض المناسبات .

***

اجتمع البرلمان الطويل فى نوفمبر سنة ١٦٤٠ ، وقدم إليه مقترح الأصل والفرع ، ذلك المقترح الذى ثمر له البيوريتانز ، وأرادوا به القضاء على النظام الأسقفى ، وتصدى لأصحاب هذا المقترح فريق من المؤيدين للنظام الأسقفى ومن المثقفين من التطرف فى الدين والسياسة الذين آثروا الوقوف إلى جانب الملك ودب الخلاف على هذا النحو بين أعضاء البرلمان .

وانتقل الخلاف إلى خارج البرلمان فانقسم الناس فريقين : أنصار البيوريتانز ، وأشياع الملك وكبير الأساقفة

وظهر الجانب السياسى من تفكير البيوريتانز يومئذ فى وضوح ، وأخذوا يشيعون آراءهم فى الناس ؛ فالناس جميعاً أمام الله سواء ، ولا يكون الخوف إلا من الله وحده ، والعدالة الاجتماعية وإقرار الحق فى كل أمرهما دعامتا المجتمع الأساسيتان إلى غير ذلك من الآراء الحرة التى تناهض الاستبداد والطغيان .

أما فى الدين ، فلم يبرح البيوريتانز يعلنون مقتهم لكنيسة روما وللنظام الأسقفى وازدراءهم لها ، وما برحوا كذلك ينسبون إلى القساوسة أنهم هم الذين يوحون إلى الملك طغيانه وعلى الأخص كبيرهم وليم لود ، وراحوا يذيعون أن لا حاجة بالناس إلى أخذ الدين عن القساوسة ، فلكل امرئ الحرية أن يتفقه فى دينه مستعيناً بكلام الله ، وإذاً فلم لا يستغنى الناس عن الأساقفة ولم يعد لهم ما سلف من خطر ؟

وتمسك لود وحزبه بوجوب طاعة الملك ، وأعلنوا أن لا غنى للدولة عن النظام الأسقفى ، وأن الكنيسة هى دعامة الملك والمجتمع . فإذا قضى عليها شاعت الفوضى فى كل شىء . وكان يعمل لود على العودة شيئاً فشيئاً إلى كنيسة روما فى روحها ونظامها ومظهرها ، وكان يحارب مبدأ كالفن فى القدر المحتوم ، ويعضد المبدأ القائل بالاختيار ، ويضطهد من يدعو إلى الاعتماد على الأنجيل وحده بغير رجوع إلى القس ، وأمعن لود فى الكيد للبيوريتانز ، واستعان بسلطة الدولة فأذاقهم سوء العذاب !

على أن فريقاً من المعتدلين وقفوا بين هؤلاء وهؤلاء وإن كانوا قلة . ويرى هؤلاء المعتدلون أن المرء حر فيما يفكر فيه ، أو فيما يأتى من عمل ما دام يطيع الملك والقس . وكان ملتن أقرب إلى هؤلاء المعتدلين منه إلى متطرفى البيوريتانز ؛ فقد كان يرفض عقيدة القدر المحتوم ويؤمن بحرية الاختيار ، كما كان يحب التسامح ويدعو إليه . وخالف البيوريتانز فى تزمتهم ومبالغتهم فى الزهد والتقشف . وعنده أن المرء إذا وفى واجب الدين حقه ، واستمسك بالفضيلة فلا تحرم عليه زينة الله التى أخرج لعباده . وللناس أن يستمتعوا أيام الآحاد بما يشيع البهجة والمرح فى نفوسهم بدل أن يحشروا حشرا إلى الكنائس ويحملوا على البقاء فيها طويلا ...

ولكن ملتن أنكر بكل ما فى نفسه من حب للحرية على القساوسة تعصبهم واستبدادهم ، وألقى بقيثارته من يده على رغمه وخرج من عزلته ليبدأ ضد القساوسة كفاحا ثائرا عنيفا تجلى فيه كل ما فى طبعه من إنكار ومقت للتعصب ، وكل ما فى روحه من تمرد على الاستبداد وميل إلى نصرة الحرية .

(يتبع)

الخفيف

الطيور المطبوعات اللبنانية والسورية :

من جميع المكتبات المصرية ومن وكيل التوزيع — ن ٢٧ شارع الملكة فريدة — فى مكتب توفيق شلخت

فلسفة التشريع فى الإسلام : للدكتور صبحى محمصانى

تاريخنا : لأكرم زعيتر .

العرب : للدكتور فيليب حتى .

التعاون الثقافى بين الأقطار العربية : لعبد الله مشنوق

أبو تمام : للدكتور عمر فروخ .

ابن طفيل : للدكتور عمر فروخ

منهج البحث فى الأدب واللغة : للدكتور محمد مندور

التطورات السياسية
في الشرق الاقصى

للاستاذ محمد جنيدى

تمخضت الحرب العالمية الثانية فى الشرق الأقصى عن ظهور الجمهورية فى جزائر الهنـد الشرقية المعروفة فى القاموس السياسى الحديث باسم « indonesia » ولكى يدرك القارىء مدى مدلول استعمال هذه الكلمة — حديثا وقديما — نقدم له تعريفاً أولياً عن الوضع الطبيعى والسياسى للجزائر الأندونيسية ، كما ذكره علماء التاريخ والجغرافيا .

الوضع الطبيعى :

قرر علماء التاريخ والجغرافيا أن الشعوب الأسيوية المنتشرة فى جزر المحيط الهادى والمحيط الهندى ، وفى شواطئهما الطويلة تفرعت من أصل واحد ، هو الأصل الأندونيسى ، الذى وجد فى هذه الجزائر قبل ميلاد المسيح عليه السلام بخمسة آلاف سنة ! وبنوا تقريرهم على الحقائق الثابتة للصفات واللغات والسمات التى تنسجم عليها هذه الشعوب فى حياتها الحاضرة فعرفوا بلدانها بكلمة جامعة تحوى الأصل والفرع ، وتربط أقصاها بأدناها ، هذه الكلمة الجامعة هى « indonesia » وهى كلمتان ركبتا تركيباً مزجياً ، الكلمة الأولى « indos » بمعنى الهند والثانية « Nesos » بمعنى الجزائر فى اللغة اليونانية . وتشمل أندونيسيا الجزر والبلدان الواقعة فى شرق وجنوب آسيا ، وهى :

١ — جزر الفلبين . ٢ — تايلاند (سيام) . ٣ — أنام (الهند الصينية) . ٤ — بورما . ٥ — ملايا . ٦ — جزائر الهند الشرقية — جاوا ، سومطرة ، بورنيو — سيليبيس .

وأشهر حاصلاتها الزراعية : الأرز ، قصب السكر ، السمسم البن ، الشاى ، الدخان ، القطن ، البردى ، النارجيل ، الكينا ، المطاط ، الكاكاو ، النيلة ، الأناناس ، الفوفل ، القات ، الفلفل .

وأكثر معادنها المستخرجة : الذهب ، الفضة ، الفحم الحجرى ، النفط ، القصدير ، الألمنيوم ، الحديد .

وأشهر حيواناتها : الجاموس ، البقر ، الخيل ، الغنم .

أما جوها فمعتدل : إذ تهب عليها الرياح من المحيطين ، والأمطار تتساقط عليها دواماً ، حتى جعلتها زمردة خضراء فى الشرق الأقصى ! ...

الوضع السياسى :

لما بدأ الاستعمار الغربي للشرق فى القرن السابع عشر ، شرعت حكومات إسبانيا والبرتغال وهولندا وانكلترا فى الفتح الاقتصادى للشرق الأقصى ، فأنشأت شركات تجارية تنقل المحصولات الزراعية الأندونيسية من الشرق إلى الغرب ، عن طريق الشرق الأوسط ورأس الرجاء الصالح . وكانت التوابل الأندونيسية أهم الصادرات من الشرق الأقصى لأوروبا . ولما تمكنت الشركات الأوروبية من السيطرة على الحياة الاقتصادية للشرق الأقصى ، اندفعت حكوماتها إلى ميدان السياسة الاستعمارية وفرضت سيادتها على البلدان الأندونيسية ، بعد قتال ومعارك عنيفة ؛ ففى هذا الظرف كانت فى أندونيسيا حكومة إسلامية مركزها مدينة ديمك « Demak » بجزيرة جاوة ، وحكومات أخرى فى سومطرة وبورنيو وملايا والجزر الأخرى .

فالدولة الأسبانية استعمرت الفيلبين التى تبلغ مساحتها ١١٤٫٠٠٠ ميل مربع ، والدولة الفرنسية استعمرت (أنام) التى تبلغ مساحتها ٢٨١٫٠٠٠ ميل مربع . وانكلترا استعمرت (بورما وملايا) اللتين تبلغ مساحتهما ٢٦٢٫٠٠٠ ميل مربع لبورما ، ٣٦٠٠٠ ميل مربع لملايا . وجاوة وسومطرة وبورنيو استعمرتها هولندا ، وتبلغ مساحتها ٧٣١٫٠٠٠ ميل مربع . أما تايلاند فقد حافظت على استقلالها .

وتطلق كلمة « أندونيسيا » فى العصر الحديث على المستعمرات الهولندية سابقا التى أشهرها الجزائر الآتية :

جاوة ، سومطرة ، بورنيو ، سيليبس ، غينيا الجديدة ، جزائر الملوك ، بالى ، مادورا ، بنكا ، بليتون ، سمباوا ، تيمور ، فلوريس ، وتبلغ مساحتها ٧٣١ ألف ميل مربع ، وعدد سكانها

٧٥ مليون نسمة .

فى هذه الجزائر ظهرت الجمهورية الحديثة ، التى هى أول حكومة جمهورية فى الشرق الأقصى . وسنتابع الآن البحث عن التطورات السياسية التى حدثت فى أندونيسيا منذ فجر القرن العشرين حتى عام ١٩٤٥ ، ليقف القارىء الغربى على أهم الحركات الاستقلالية التى قام بها الشعب الأندونيسى ، خلال خمسة وأربعين عاما .

لقد تأثر الشعب الأندونيسى بنتائج الحرب اليابانية الروسية فى عام ١٩٠٤ ، وزاد تأثره قوة الدعاية اليابانية الشهيرة ، بدعوة الشرق إلى ضم صفوفه للقضاء على الاستعمار الغربى . فكان انفجار القنبلة الأولى « الشرق للشرقيين » التى حفزت الشعوب الشرقية لمقاومة الاستعمار الغربى يهدر فى المحيط الشرقى فيرتجف الغرب له ، ويزيد فى تقوية مركزه . وفى ٢٠ مايو سنة ١٩٠٨ نهضت أندونيسيا الكبرى « indonesia Raya » نهضة قوية مركزة على أسس علمية حديثة . فقد أنشأ طلبة كلية الطب برئاسة الدكتور وحيدن بمدينة جاكرتا جمعية Boedl Oetomo أو النزعة الفاضلة للمقاصد الآتية :

١ — السعى لاستقلال أندونيسيا السياسى .

٢ — العمل لنشر الثقافة العالية .

٣ — العمل لإصلاح الحالة الاقتصادية

وفى شهر أكتوبر عام ١٩٠٨ عقدت الجمعية أول مؤتمراتها. فبلغ عدد أعضائها ١٠٫٠٠٠ عضو ، وهذا رقم يدل على قبول الشعب لمقاصد الجمعية .

كان أكثر المنتسبين للجمعية طلبة المدارس والكليات العالية وأبناء الأسر الراقية ، وانتشرت فروعها فى أنحاء أندونيسيا . تسعى لتحقيق مقاصد الجمعية ، وأشهر من قاموا بالدعاية للجمعية الدكتور شومو الذى أصبح فى عام ١٩٣٦ زعيما لحزب أندونيسيا الكبرى « Parindra » وشكرى أمينوتو الذى أصبح فى عام ١٩١٢ زعيما لحزب « الرابطة الاسلامية » . وتعتبر جمعية « بودى أوتومو » الحجر الأساسى للأحزاب الوطنية ، والدعامة الأولى فى صرح النهضة الأندونيسية الحديثة .

استطاعت جمعية بودى أوتومو إثارة الروح القومية ، وإشعال نار الحماسة فى نفوس الأندونيسيين . فأصبحت أندونيسيا أتونا يتقد ، وفى ١٠ سبتمبر سنة ١٩١٢ ظهر فى المسرح السياسى — الهولندى الأندونيسى — حزب سياسى له سلطته الدينية وقوته القومية ، هو حزب « Sjarekat Islam » برئاسة شكرى أمينوتو لتنفيذ الخطط الآتية :

١ — العمل لتحرير أندونيسيا السياسى التام .

٢ — الدفاع عن الإسلام .

٣ — توسيع نطاق التعليم ، وإصلاح الحالة الزراعية والاقتصادية .

وفى عام ١٩١٦ بلغ عدد أعضائه ثلاثة ملايين عضو . أما فروعه فمنتشرة فى المدن والقرى ، وللحزب أقسام عليا رئيسية هى : التشريع ، والقضاء ، والتنفيذ . وأقسام أخرى للشباب والرجال والمرأة والفتاة ، والتعليم ، والمالية ، والصحافة ، والنشر والرياضة ، والاقتصاد ، ودائرة كبيرة للتحكيم .

وأبرز أعضاء الحزب : مستر أغوس سالم ، وهو وكيل الحزب ، كان قنصلا للمفوضية الهولندية بمكة قبل نشوب الحرب العالمية الأولى ، ثم استقال واشتغل بالسياسة فى حزب الرابطة الإسلامية . وفى عام ١٩٢٣ مثل نقابات العمال الأندونيسيين بجنيف . وفى العهد الحاضر يتولى منصب وكالة وزارة الخارجية للجمهورية الأندونيسية . وفى عام ١٩٢١ انتخب عضوا فى المجلس النيابى « Volksraad » فى دورته الثانية عن حزبه .

وفى ٦ سبتمبر ١٩١٢ أنشأ الدكتور دوزدبكر والدكتور شفتو ماعون كسومو والبروفيسور كى هاجر ديوانتارا حزب « insoelanda » أو الحزب الأندولندى ، قابلا أعضاءه من الهولنديين ما داموا ولدوا فى أندونيسيا . والحزب يسعى لاستقلال أندونيسيا . وفى عام ١٩١٣ نفت الحكومة الهولندية زعماء الحزب إلى الجزر الأندونيسية البعيدة عن المجتمعات المتحركة الحية . ثم فى عام ١٩١٤ نفتهم جميعا إلى هولندا مراعاة لمركزهم الاجتماعى لدى الشعب . وبهذا العمل ، قضت السلطة الهولندية على الحزب .

وفى مايو عام ١٩١٤ أسس المستر سنفليت الهولندى الحزب الاشتراكى الديموقراطى مع بعض زملائه الهولنديين ممن تشبعوا

الشـــيوعية الخُرَّمية

للأستاذ عباس حسان خضر

الخُرَّمية نسبة إلى خُرَّم بمعنى الفرح ، وأصحابها يحللون كل ما يريدون ويشتهون ، فيسمون مذهبهم مذهب الفرح . وقد أخطر لى الكلام على هؤلاء الخرميين الشيوعيين الذين قاموا بأذربيجان منذ أحد عشر قرناً — تلك الحوادث الجارية فى ذلك الإقليم من شمال إيران المتاخم لروسيا . ولك أن تلاحظ صلاح تلك البيئة لنمو الأفكار الشيوعية ، فقد نشأت بها مذاهبها متجهة من الجنوب إلى الشمال : كانت المزدكية القديمة فى بلاد فارس ، ثم كانت الخرمية (موضوعنا) فى شمال فارس ولعل الفكرة قد تابعت سيرها إلى الشمال حيث استقرت فى روسيا فى عصرنا الحاضر شيوعية مقربلة منخولة ، نفى التنظيم الحديث منها كثيراً من العناصر الفوضوية القديمة ، حتى أصبحت نظاما من نظم الحياة فى هذا العصر ، له مبادئه وفلسفاته ، وله أنصاره ومعارضوه .

قامت الشيوعية الخرمية بتلك الأصقاع فى عهد المأمون ، واستطار شررها وعظم خطبها ، وهب إعصارها على الحضارة الإسلامية فى إبان ازدهارها ، فحشدت لها الدولة العباسية قواتها وظلت تكافحها عشرين سنة ، حتى أخمدت أنفاسها .

كانت الخرميةُ الميلادَ الثانى للشيوعية فى تلك البلاد ، بعد مزدك الذى ظهر فى عهد قباذ ملك الفرس ، فدعا إلى المشاركة فى كل شىء ، بحيث لا يُمنَع أحد مما يشتهى ، كما دعا إلى ترك المنازعات والخصومات والحروب . ومال قباذ إلى هذا المذهب ، فلما ملك بعده ابنه أنوشروان قتل مزدك ، وقضى على الشيوعية الأولى . أما الخرميون فقد زادوا على المزدكية القديمة القتل والغصب والحروب ، وكانوا — إلى تلك الإباحية — يدينون بالتناسخ ، أى حلول الأرواح فى أجساد أخرى غير التى فارقتها ، وقد ادعى زعيمهم بابك الخرَّمى أنه إلهٌ ، حلت به روح كبيرهم الأول جاويدان

كان بابك فى حياته الأولى راعياً صغيراً فى قرية بأذربيجان ، وقد زعمت أمه أنها نظرت إليه وهو نائم فرأت تحت كل شعرة من رأسه وصدره دما ، فلما انتبه من نومه اختفى هذا الدم ، فقالت

التى حملها المستر سنفليت من أوروبا . وهى الأفكار الاشتراكية الحديثة ، ولخشية السلطة الهولندية من انتشار الروح الشيوعية فى المجتمع الأندونيسى حلت الحزب الاشتراكى الديموقراطى ، وأرجعت إلى هولندا بعض زعمائه . أما سنفليت فمكث فى أندونيسيا .

ومبادىء الحزب الاشتراكى الديموقراطى ، القضاء على الرأسمالية الدولية ، وإنشاء قوة شعبية اشتراكية ، تمكن لأندونيسيا التحرر من الاستعمار الهولندى الذى يؤيده الأمبريالية العالمية .

وفى سبتمبر عام ١٩١٤ أنشأ بعض الزعماء الأندونيسيين حزب « Pasoendan » أشهرهم رادين أوتو اسكندر دينانا . وكان الحزب يرمى إلى إيجاد رابطة شعبية مكونة من كبار الموظفين والتجار والصحفيين والأسر الراقية ، لتقود الشعب إلى ميدان الجهاد لتحرير أندونيسيا من السيطرة الهولندية . وفى عام ١٩١٧ ظهر فى جزيرة سومطرة حزب « Sjarekatsumatra » أو « رابطة سومطرة » قاصداً إلى توحيد الجبهات الشعبية فى جزيرة سومطرة للعمل متحدا فى حقل الميدان السياسى لمقاومة الاستعمار .

ولما نشبت الحرب العالمية الأولى قدمت الأحزاب السياسية الوطنية مذكرة إلى الحكومة الهولندية بانشاء حكومة أندونيسية وبرلمان ، فوعدت السلطة الهولندية الأحزاب السياسية بانشاء مجلس نيابى بعد أن تضع الحرب أوزارها . وفى ١٨ مايو ١٩١٨ افتتح المجلس النيابى « Volksraad » جلسته الأولى ، فجاء مخيبا لآمال الوطنيين ، إذ كانوا يرمون إلى إنشاء برلمان وحكومة وطنية . وانتخب أعضاؤه من الأندونيسيين وعددهم ثلاثون عضوا ، ومن الهولنديين وعددهم خمسة وعشرون عضوا ، ومن الشرقيين خمسة أعضاء . ودل هذا الانتخاب على أن هذا المجلس ليس مجلساً نيابيا أندونيسيا ؛ بل هو مجلس هولندى ، فما نسبة ثلاثين عضوا من سبعين مليون نسمة ؟ ! .. إنها نسبة تتضاءل جدا أمام هذه الأرقام الهائلة !

(البقية فى العدد القادم)

محمد هنيدى

إنه سيكون لابنى نبأ جليل ..

اتصل بابك بجاويدان ملك الخرمية ، فقربه إليه ، لما رأى من فطنته وخبثه وشهامته . فلما مات جاويدان استدعت امرأته بابك وقالت له : إنك جلد شهم ، وقد مات ولم أرفع بذلك صوتى إلى أحد من أصحابه ، فتهيأ لقد ...

فلما أصبحت تجمع إليها جيشُ جاويدان ، فقالوا : لِمَ لمْ يدعنا ويوصى إلينا ؟

قالت : ما منعه من ذلك إلا أنكم كنتم متفرقين فى منازلكم من القرى ، وأنه إن بعث إليكم وجمعكم انتشر خبره ، فلا يأمن عليكم شِرَّةَ العرب ، فعهد إلىَّ بما أؤديه اليكم .

قال لى : إنى أريد أن أموت فى هـذه الليلة ، وإن روحى تخرج من بدنى ، وتدخل فى بدن بابك ، وتشترك مع روحه ؛ وإنه سيبلغ بكم أمراً لم يبلغه أحـد ، وإنه يملك الأرض ويقتل الجبابرة ، ويرد الزدكية ، ويعز به ذليلكم ، ويرتفع وضيعكم .

فآمن القوم ببابك ، وتزوجته امرأة جاويدان . ومن غريب ما جرى فى الاحتفال بهذا الزواج أنهم أتوا ببقرة ، فقتلوها ، وسلخوها ، وبسطوا جلدها ، وجعلوا فوقه طستاً مملوءاً خمرا ، ووضعوا خبزا حوالى الطست ، فكان كل رجل يأتى يأخذ لقمة ويغمسها فى الخمر ويأكلها ويقول : آمنت بك يا روح بابك ، كما آمنت بروح جاويدان .

أخذ بابك ومن معه يعيثون فى الأرض فسادا ، وينشرون مذهبهم الإباحى . وبلغ المأمون خبره سنة ٢٠١ هـ الموافقة لسنة ٨١٦م ، فاهتم بأمره ، وعزم على مطاردته ، والقضاء على مذهبه ، وتعاليمه الضارة بنظم الحياة والاجتماع ، والمضادة لتعاليم الإسلام ، والمنذرة لأركان الحضارة الإسلامية بالتصدع والانهيار . فوجه المأمون إلى بابك أربعة من قواده فى أربع حملات متعاقبة ، فلم يستطيعوا التغلب عليه ، لمكانه الحصين ، وقوته الكبيرة ، وشدة تأثيره فى قلوب جمهوره . وأدركت المأمون منيته قبل أن يتمكن من القضاء على الخرمية الإباحية ، فكان من وصيته لأخيه المعتصم أن كتب له : « والخرمية فاغزهم ذا حرامة وصرامة ، واكنفه بالأموال والسلاح والجنود من الفرسان والرجالة ، فإن طالت مدتهم فتجرد لهم بمن معك من أنصارك وأوليائك واعمل لذلك عمل مقدم النية فيه ، راجيا ثواب الله عليه » .

وفى أول عهد المعتصم استفحل أمر الخرمية فى أذربيجان ، ودخل فيه خلق كثير من أهل الجبال وهمذان وأصبهان وغيرها ؛ ولكن المعتصم شمر عن ساعد الجد ، وبذل جهده فى الخلاص من هذا الشر ، فاختار لحرب الخرمية قائداً من كبار قواده ، هو المعروف بالأفشين ، وسيره إليهم فى سنة ٢٢٠ هـ على رأس جيش منظم ، فدبر الأفشين أمر القتال ، وأحكم تدبيره ، ووزع قواده على الحصون والمعاقل لحراسة القوافل والسابلة ، وأطلق عيونه وجواسيسه حتى يعرف خطوات الثائر وحركاته . واستمر يحاربه سنتين ، حتى انتصر عليه فى سنة ٢٢٢ هـ الموافقة لسنة ٨٣٧ م .

وفر بابك متنكرا حتى نزل مكانا بأرمينية ، فعرف خبره سهل بن سنباط أحد بطارقة أرمينية ، فذهب إليه ، وسلم عليه بالملك ، وقال له : قم أيها الملك إلى قصرك الذى فيه وليك ؛ حيث تكون فى أمان من عدوك . فسار معه إلى قصره ، ورفع سهل مجلسه وعظمه ، وقدمت المائدة ، وجلس يأكل معه ، فاستشعر بابك جبروته غافلا عما يدبر له فقال لسهل : أمثلك يأكل معى ؟ فقام سهل وقال : أخطأت أيها الملك ، وأنت أحق من احتمل عبده . ودخل حداد كان سهل أرسل فى طلبه ، فقال لبابك : مد رجلك أيها الملك . والتفت إلى الحداد قائلا : أوثقه بالحديد . فقال له بابك : أغدرا يا سهل ؟ قال سهل : يا ابن الخبيثة ، إنما أنت راعى غنم وبقر ، ما أنت والتدبير للملك ونظم السياسات ؟ وسلمه إلى الأفشين ، فأرسله إلى الخليفة بسامرا ، فأمر بقتله وصلبه .

وكان يوم دخول الجيش ببابك مدينة سامرا يوما مشهودا ، خرج فيه الخليفة ، ومعه أشراف الدولة ، فاستقبلوا الأفشين استقبالا باهرا ، وكان فرح المعتصم عظيما ، حتى إنه كان يرسل إلى قائده الباسل فى صبيحة كل يوم خلعة شرف ومعها الهدايا الثمينة .

وجلس الأفشين للشعراء ، يستمع إلى أشعارهم فى الثناء عليه إذ أراح الناس من شر ثائر روع البلاد والعباد عشرين عاما ، قتل فيها مائتين وخمسة وخمسين ألف إنسان ، وأسر ثلاثة آلاف وثلثمائة رجل وسبعة آلاف وستمائة امرأة ، وقد ظلوا فى أسره حتى أنقذهم الأفشين .

عباس حسان خضر

الطـــــاقة الذرية

وكيف صارت سلعة عربية

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

الفعل الرديومي الصناعي :

بين « جوليو » في العام التالي . أي عام ١٩٣٣ . إن من الممكن صناعياً تحويل عدد كثير من الذرات إلى ذرات ذات فعل رديومي . أي أصبح في الإمكان صناعة مواد كثيرة ذات فعل رديومي بأية كمية مطلوبة . وفي عام ١٩٣٤ كشف العالم الإيطالي « فيرمي » وزملاؤه بروما ، أنه عند تصادم أثقل العناصر المعروفة وزناً أي اليورانيوم بالإلكترونات ، أعطى اليورانيوم ذرات مجهولة ؛ وذلك طبقاً لإحكام إحلال الفعل الرديومي . وتدل هذه النتائج على ما يظهر أن من الممكن الحصول في المعمل على ذرات أعلى في عددها الذري من الذرات الموجودة في الطبيعة . وقد دلت الدراسات والتجارب التي أجريت بعد ذلك على أن عدد العناصر « عبر — اليورانيوم » (trans — uranium) المتكونة كثير شاذ ، على أن البحوث الكيميائية الدقيقة التي أجريت في نفس الوقت للتعرف عن نوع الذرة الناشئة بذرات تلك العناصر التالية لليورانيوم مباشرة في العدد الذري أو الوزن قد فشلت .

انقسام اليورانيوم إنقساماً ذاتياً :

وفي يناير من عام ١٩٣٩ كشف العلم أيضاً عن نتيجة في غاية الخطورة . فقد أيد « أوتو كاهن » وزميله « ستراسمان » ببرلين الحقيقة الثابتة التي نصت على أن ذرات اليورانيوم يمكن شطرها مع إطلاق كمية هائلة من الطاقة . وقد توصلا بجانب هذا إلى كشف آخر في غاية الأهمية ، وهو الذي نص على أن أحد مركبات « عبر اليورانيوم » . هو عبارة عن نظير (isotope) العنصر « باريوم » الذي في عدده الذري وكتلته لا يختلف اختلافاً تاماً عن نصف العدد الذري وكتلة اليورانيوم . وقد كان أن فطن العلماء عقب هذا مباشرة أنه ينشأ عند استحالة اليورانيوم تفاعل نووي يختلف اختلافاً تاماً عن أي تفاعل درس حتى هذا الوقت ، بمعنى أن ذرة اليورانيوم وهي ذرة كبيرة جداً ، لا بد وأن نفرض بأنها قد انقسمت إلى قطعتين ، وأن هاتين القطعتين تحتويان على درتين عاديتين وزنهما متوسط . ولما أضيف وزن هاتين الذرتين كل منهما إلى الآخر وجد أن الوزن الكلي أقل بمقدار محسوس عن وزن ذرة اليورانيوم ، وأن النقص في الوزن قد ظهر في شكل طاقة منبعثة ، وأن هذا التأثير أقوى عشرين مرة من أي تأثير من نوعه كشف عنه العلم من قبل . وفي الحال بدأ الباحثون في الكثير من بلدان العالم في إجراء بحوث دقيقة شاملة لمعرفة ماهية انقسام ذرة اليورانيوم انقساماً ذاتياً .

وفي بحر شهور قليلة توصل « جوليو » وزملاؤه بباريس إلى الكشف عن أدلة بينوا بها أن ذرة اليورانيوم عند انقسامها إلى ذرتين ينطلق منها في الوقت نفسه عدة نيوترونات — من المؤكد أكثر من اثنين — أي أصبح من الممكن إذن الوصول إلى سلسلة من التفاعلات مبنية في شكل متوالية هندسية . فلنفرض أن في متناولك كتلة من اليورانيوم أطلق فيها نيوترون واحد . النتيجة أنه يصحب استحالة ذرة واحدة من اليورانيوم انطلاق ٢ نيوترون على الأقل ؛ وأن ال ٢ نيوترون يسببان استحالة ذرتين أخريين من ذرات اليورانيوم ، وينتج من هذا انطلاق ٤ نيوترون على الأقل . وتستمر العملية على هذا المنوال حتى تحدث استحالة عامة في الكتلة . وقد كان من الواضح الجلي أنه من الممكن باستخدام عملية كهذه الوصول إلى منبع هائل من الطاقة .

وفي ربيع عام ١٩٣٩ وقت أن كان الأستاذ « نيلبور » يزور أمريكا ، وضع مع الأستاذ « هويلر » بجامعة برنستاون بمقاطعة نيوجرسي نظرية في عملية الإنقسام الذاتي . وعلى أساس هذه النظرية تكهن العلماء أن من بين نظائر اليورانيوم الثلاثة المعروفة ب « نم ٢٣٨ ، نم ٢٣٥ ، نم ٢٣٤ » (« نم » هو الرمز الكيميائي لليورانيوم باللغة العربية) إن من المتوقع أن النظير الشائع (نم ٢٣٨) ينقسم انقساماً ذاتياً في حالة ما إذا كانت النيوترونات المنطلقة ذات طاقة عالية فقط . وأن (نم ٢٣٥) النادر الوجود لا ينقسم انقساماً ذاتياً إلا إذا كانت طاقة النيوترونات ، أو بعبارة أخرى سرعة النيوترونات ، المنطلقة بطيئة جداً . وقد تأيدت تلك التكهنات في مارس من عام ١٩٤٠ . بتجارب اجراها « نير » (بجامعة مينيسوتا) ، بود ، دانينج :

جروس بجامعة « كولومبيا بنيويورك » وقد نصت تجاربهم على استخدام عينة من اليورانيوم زيدت فيها كمية (نم ٢٣٥) عن الكمية العادية بواسطة « الأسبكتروغراف الكتلي » الذي اخترعه « نير » .

وعند تصادم اليورانيوم بنيوترونات ذات طاقة معينة معتدلة. تكون نظير له عدد ذري يساوي ٩٤ . وقد تكهن العلم أيضاً على أساس نظرية « بور — وهويلر » أن هذا النظير — الذي أطلق عليه اسم « بلوتونيوم » وعبر عنه بالرمز الكيميائي (Pu_{239}) يمكن انقسامه انقساماً ذاتياً بنفس السهولة التي ينقسم بها « نم ٢٣٥ » .

انطلاق الطاقة الذرية :

كان الكشف عن انقسام اليورانيوم انقساماً ذاتياً بمثابة قوة دافعة حركت أذهان كل المهتمين بالبحث في هذا الفرع من العلم. فبدأ في الحال الأستاذ « جوليو » وزملاؤه بباريس والأستاذ « فيرمي » وبعض علماء الطبيعة الذرية الآخرين في الولايات المتحدة الأمريكية ، والسير جورج تومسون وزملاؤه في لندن ، في إجراء التجارب بقصد الوصول إلى طاقة ذرية منبعثة يمكن ضبطها .

وقد دلت التجارب التي توصل إليها العلماء في لندن ، والتي أيدها زملاء الأستاذ جوليو بعد وصولهم إلى انجلترا بتجارب كانوا قد أجروها مستقلين قبل هذا بباريس ، على أن الأمل كبير في استخدام الطاقة الذرية كمنبع للقوة . ولما كانت النتائج في هذا الوقت ليس لها أهمية حربية منتظرة أبطلت البحوث في هذا الموضوع في لندن .

وفي الشطر الأول من عام ١٩٤٠ اقترح على الحكومة كل من الأستاذ شادويك والدكتور « فريش » والأستاذ « بيرلس » كل على حدة أنه من الممكن الحصول على قرقعة هائلة على جانب كبير من الخطورة إذا استبدل النظير النادر « نم ٢٣٥ » باليورانيوم العادي . وعليه ألفت الحكومة لجنة من العلماء المختصين تحت رئاسة السير جورج تومسون ، وبدأت عملها أولا في جمع كل المعلومات العلمية التي ظهرت في هذا الموضوع وقد تطور البحث الذي كان قد بدأ في لفربول تحت إشراف السير جيمس شادويك بتعيين الدكتورة فريش وروتيلات مساعدين له . ولما أخذت البحوث تترى ظهرت هناك مسائل أخرى لها علاقة بهذا الموضوع . وعليه ساهم معمل « كافنديش » الشهور بكمبردج بنصيبه في هذا البحث الخطير تحت إشراف الدكتورة « فيذر ، برتشر » وقد أجريت التجارب في فصل « نم ٢٣٥ » في معمل كلارندون تحت أشراف الدكتور « سيمون » يعاونه في البحث من الناحية الكيميائية الأستاذ « هوارث » . وقد أجريت البحوث أيضاً في الكلية الامبراطورية للعلوم والفنون بلندن . وقد أجرى البحوث من الناحية النظرية الأستاذ « بيرلس » يعاونه الدكتور « فوش » وغيرهما من العلماء . وذلك بجمع المعلومات التجريبية من مختلف المعامل . وقد وضعت اللجنة في ١٥ يولية سنة ١٩٤١ تقريراً أثبتت فيه إمكان تحضير سلاح حربي له قوة تخريبية لا مثيل لها ، أي استخدام الطاقة الذرية كسلاح حربي :

وقد تطور البحث في هذا الموضوع في نفس الوقت في الولايات المتحدة الأمريكية . ولما اقترح المرحوم الرئيس روزفلت في عام ١٩٤١ تبادل المعلومات والنتائج بين الباحثين البريطانيين والباحثين الأمريكيين وافق السر تشرشل على هذا الاقتراح . وعليه قدم فريق من العلماء الأمريكيين إلى انجلترا لمعرفة مقدار تطور البحث في بريطانيا . وفي فبراير من عام ١٩٤٢ رحل فريق من العلماء البريطانيين إلى أمريكا . واستمر العمل بعد ذلك في انجلترا وأمريكا في جو يشوبه التعاون التام بين البلدين . أما في انجلترا فقد زيد في عدد العلماء الباحثين؛ وانضمت جامعتا برستول ومانشستر ، ووضع لكل منهما برنامج بمسائل للبحث فيها . ولما اشتدت الغارات الجوية على بريطانيا أصبح من الضروري نقل الكثير من المجهود البريطاني إلى أمريكا . وفي أواخر عام ١٩٤٣ رحل العدد الكبير من الفريق البريطاني إلى أمريكا للعمل مع زملائهم هناك . وقد كان من تأثير هذا النقل أن وقع معظم الحمل على عاتق الولايات المتحدة الأمريكية . وقد تم استخراج المواد

الحام اللازمة من كندا . واشتغل العلماء الأمريكيون والكنديون والبريطانيون جنباً إلى جنب فى جو يشوبه التعاون التام والإخلاص لغرض واحد . والعالم أجمع يعرف الآن نتيجة تلك الجهود الموفقة وهو فوز لا نظير له فى التاريخ . فوز فى تطبيق المعلومات الجديدة لتركيب الذرات ونواتها . وقد اشترك علماء الكثير من الدول فى الوصول إلى هذه النتيجة الباهرة التى لا مثيل لها فى تاريخ العلوم . ولكن الفخر كل الفخر يرجع بلا شك لرثرفورد الذى عاجلته المنية منذ بضع سنوات قبل تطبيق هذا الفرع الجديد من العلم تطبيقاً ناجحاً ، والذى ساهم فيه رثرفورد بنصيب وافر .

المستقبل :

قد رأينا كيف استخدمت الطاقة الذرية كسلاح حربى فى غاية الخطورة. بيد أنه من الممكن استخدامها فى الوقت نفسه فى الكثير من النواحى لسعادة المجتمع بنجاح تام وفائدة لا مثيل لها فمن الممكن مثلا استخدام المفرقعات الذرية لتحويل الاصقاع . ومن الممكن أيضاً استخدامها للحصول على حفرة هائلة فى الحجم وخنادق فى الأرض وتحويلها إلى بحيرات وأقنية أو مصارف . وبهذا يصبح فى الإمكان إنشاء بحيرات فى وسط الصحراوات . أى يمكن تحويل أردأ بقاع الأرض إلى واحات وأراض خصبة . ومن الجائز أيضاً توليد كميات هائلة دائمة من الحرارة فى المناطق القطبية الثلجية وبهذا يمكن تحويل القطب الشمالى مثلا إلى منطقة للراحة والاستجمام .

ومن المنتظر فى القريب العاجل تطبيق منبع الطاقة الجديدة لتحريك السفن والقاطرات . أو على الأقل يمكن استخدام الطاقة الذرية للوصول إلى قوة بدون الدخان والقذر المألوف .

وستنتج معامل الطاقة الذرية كميات هائلة من مستخرجات المواد الراديومية يمكن توزيعها على الجامعات لإجراء بحوث أخرى شاملة ، وعلى المستشفيات للبحث واستخدامها فى الأغراض الطبية العديدة . وقد أمكن الآن إنتاج عناصر جديدة بكميات محسوسة . فإذا ما تصادمت النيوترونات بسرعة محدودة مع نظير اليورانيوم الأكثر ثقلا ، كتلته ٢٣٨ وحدة ، وقعت سلسلة من التحويلات ، يتغير فيها اليورانيوم أولا إلى « نبتيونيوم » ثم إلى « بلوتينيوم ولكل من هذين العنصرين اللذين ليس لهما وجود فى الطبيعة خواصه الكيميائية الفريدة . فالنبتيونيوم ذو فعل رديوى يتحول نصف وزنه إلى بلوتنيوم فى فترة أكثر من يومين بقليل . ولما كان البلوتينيوم يتبع نظرية الانقسام الذاتى أصبح من الممكن استخدامه فى انبعاث الطاقة الذرية .

فالعلم إذن قد كشف عن عناصر جديدة من المادة فى الوقت الذى كشف العلماء فيه عن قوة فتاكة . فماذا عسى أن يكون مأربه الجديد ؟ هل البحث عن تطورات جديدة فى الحياة ؟

عن النشرة العلمية الانجليزية

وزارة المعارف العمومية

إدارة التوريدات

تقبل العطاءات بمكتب حضرة صاحب العزة وكيل وزارة المعارف الساعد بشارع الفلكى بمصر لغاية الساعة العاشرة من صباح يوم الثلاثاء الموافق ٢٥ يونية سنة ١٩٤٦ عن توريد أدوات التعليم مثل براجل نحاس وألوان مائية وزيتية وورق أنواع مختلفة ومساطر وألواح اردواز الخ .

ويمكن الحصول على شروط وقوائم المناقصة من إدارة التوريدات بشارع الفلكى بالقاهرة نظير دفع (ثلثمائة مليم) ثمن النسخة الواحدة .

٥٤٢٢

هتـــاف ... !

للاستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

هاتف ، عله الذى أتمنى ... من وراء الغيوب ، روحاً وفنا
عشقت روحه الزكية روحى ... فمتى تلتقى العيون ؟ وأينا ؟
هو فى خاطرى رؤًى ؛ وبقلبى ... حـــلمٌ راعه زماناً فجنا
هو ظلٌّ نديتُه بدُموعى ... وتفيأته ســـلاماً وأمنا
هو نورٌ هدى يقينى ، ونارٌ ... صليتها شكوكُ قلبى المعنَّى
هو فى الزهر والفراش تراءى ... لخيالى ، وفى الشعاع استكنّا

* * *

عله الهاتفُ السرىُّ لى الشو ... قَ ملحاً ، فكنتُ كلى أذنا
أسمع الصوت فى «السرة» حلواً ... عبقرياً ، يهتزُّ نايا ولحنا
يرقص الكونُ كله من حوالىَّ ... فأفنى فى الكون طيراً وغصنا
شارداً فى عوالم الوهم ، هل آ ... ن لهذا الطريد أن يطمئنا ؟

* * *

إيه يا هاتف «السرة» أشرق ... إن لى مقلة بليلك وسنى
آن أن يشرق الصباح عليها ... لترى الكون بين عينيك كونا

رباعيـــات عثمان

للاستاذ عثمان حامى

يا أخى إن قرأت هذا الكتابا ... بعد أن صرت فى التراب ترابا
لا ترع وابتسم فسخرك بالدنـ ... ـيا صواب إذا ضللت الصوابا
وتذكر أنى حكيتك فى الأر ... ض غروراً وبهجة وعذابا
صورة منك كان قلبى وقبلى ... من حسكنى كهلا بها وشبابا

* * *

لا جديد بالليل أو بالنهار ... وقديم ما جدَّ فى الأخبار
فوليد فى مهـــده ونقيد ... صرعته مخالب الأقدار
والليالى هى الليـالى كما كا ... نت قديما سلالة التكرار
قرٌّ جدَّ فى المسير وشمسٌ ... لاحقتها النجوم فى التيار

* * *

فالمجيبُ العجيبُ غيرُ عجيبٍ ... ومريبُ الأمورِ غيرُ مريب
والذى أنت فيه صورة ما فا ... تَ ولون القديم لونُ القشيب
فابتسمْ ما استطعتَ واسخر إذا اسطـ ... ـت بما جدَّ من حديد الخطوب
إنَّ جدَّ الحياة أخلق بالسخـ ... ـر وأجدى لا بالأسى والنحيبِ

* * *

كلُّ ما أنتَ مبصرٌ لك يُغرى ... لو تأملت بابتسامة سخرِ
ليتِ شعرى أىُّ النفوس وإن جـ ... ـلَّ خلا من ضعف به ليت شعرى
وزوايا النفوس فيها كثير ... من خفايا غرورها المستقرّ
فابتسم يا أخى إذا جدَّ أمرٌ ... ساخراً إن فطنتَ من كلِّ أمرِ

* * *

ضـــائع ما أفاده كلُّ حىٍّ ... من جميل محببٍ وردىٍّ
ما أفاد الذكىُّ فى الكدح إلاّ ... ما أفادت فى الكدح نفس الغبىِّ
تعبٌ غيرُ مثمرٍ فوق ثرى الأر ... ض تساوى سعيدُها بالشقىِّ
وعناه لا ينقضى يتساوى ... جاحدٌ فى عنائه بالتقىِّ

* * *

أىُّ جهدٍ جازاهُ أىُّ رجاء ... فوق هذا الثرى وتحت السماء
إن تساوت مصائر الناس يوما ... بمصير البهيمة الخرساء
من تراب إلى ترابٍ ومن محـ ... ـض فناء حق لمحض فناء
يتلاقى الجهول فيه وذى الحكـ ... ـمة والأقـــوياء بالضعفاء

* * *

فعلامَ الأسى على غير مجدٍ ... بين ماضٍ ومقبلٍ مستجدّ
واقعٌ ما أُعدَّ فى الغيب لا تسـ ... ـطيع نفسٌ تبديل حتم المعدّ
ومحالٌ عليكَ ردُّ الذى فا ... تَ محالٌ إرجاء ساعةٍ فقد
عاجز أنتَ يا أخى عجزَ أهل الأر ... ض عن ردِّ فائتٍ مسترد

* * *

كلُّ غادٍ أو رائحٍ غيرُ غادٍ ... يتولى بغصةٍ فى الفؤاد
والذى لم ير الحياة وإن كا ... ن جماداً أسعدْ به من جماد
ساعة الموت لو تأملت فى السا ... عات خيرٌ من ساعة الميلاد

منتهى هذه الحيـاة فسادٌ مبتدٍ فى نشوئه من فساد

* * *

هـذه سنة الحيـاة ولولا جهلنا لم نقم على الأرض نسلا
راحـة جهلنا الحقيقة بالخلـ ـق فزدنا بالحق والخلق جهلا
فمن الجهل راحـة ورضـاه ورضاه النفوس بالعجز أولى
إنّ عقل الإنسان لم يك يوماً بخفـايا الوجود للفهم أهلا

* * *

إن عجزى عن فهم أسرار روحى ثم بخلى بالنفس بخل الشحيح
من مُلحٍّ من الغرائز فيها تتجـلى قنـاعتى وطموحى
فى حياة منها الصحيح تساوى فى احتكام النهى بغير الصحيح
لم يدع لى من مطلب فى وجودى غير سمعي وراء كل مريح

* * *

ولقد جزتُ من حياتى عُمرا ذقت فيه الحياة خيراً وشرا
وبلوت الأمور فى هذه الأيـ ـام فيما عرفتُ طيّاً ونشرا
كلما زدت بالقـادير خبرا زادت النفسُ بالقادير سُخرا
وانتهى بى المطاف أنى رأيت الـ ـيأس فى الناس راحة لى كبرى

* * *

بين يأسى أحيا وبين رجائى لا أبالى بشقوةٍ أو هنـاء
لا أبالى أسـارَ زيدٌ أمامى دون حقٍّ أو سار زيد ورائى
علمتنى الأشياء كيف أرى الشيـ ـء بعينٍ لم تُعنَ بالأشـياء
وسواء لو تنرب الشمسُ فى الشـ ـرق أو لا تنير جوف السماء

* * *

لا أبالى إن مر ركب الوزير بىَ بين التهليل والتكبير
أو هوى صاعق على الأرض لا يخـ ـشى فؤادى ماذا يكون مصيرى
وضميرى أرحتـه وكفانى أننى لم يثر علىَّ ضميرى
لى وحدى تقدير من هو أولى باهتمامى فى الخلق أو تقديرى

* * *

كل كسبى من التجارب أنى عشت فى الأرض عيشة المطمئن
وكفانى من كل ما أتمنى أننى لا أطيـلُ فيه التمنى
إن تجنّى علىّ من يتجنى دون حق بسمتُ للمتجنى
وكفانى أن نلت منه بسخرى ضعفَ ما نال بالحماقة منّى

***

أنا فى موكب الحياة أسـير فى زحامٍ على الزمام يمورُ
موكبٌ دائبُ المسير فما يعـ ـروه كلٌّ أو يعتريه فتور
صاخبٌ فى غروره لم يفارقـ ـه طوال الزمان هذا الغرور
لا يبالى بمن تخلف أو يمـ ـضى بمن كلّ أو دهاه قصور

* * *

ولقد حار فى وجودىَ فكرى وتبرمتُ فاستعنتُ بصبرى
وأخذت الحياة باليسر حتى لم يضق بالحياة والناس صدرى
لا أرى أن أكون غرّاً ولا أر ضى لنفسى فى الناس تفكير غرّ
كيفما كانت الأمورُ فإنى لم تفارقنىَ ابتسامة سخرى

* * *

فوجودى ما لى يد فى وجودى لا ولا فى النحوس أو فى السعود
غفر الله للجـدود فما أر غب فى أن أعيد حمق الجدود
لا أرى الأرض بعد ما ملأ النا س فضاياها تواقة لمزيد
خلنى خلـنى فنفسىَ أولى باهتمامى من كلّ وجهٍ جديد

* * *

ما كفى ما أحاطنى من قيود فأزيد القيـود فى التعقيد
علم الله ما يخبئـه الغيـ ـب لنفس السعيد والمجدود
هكذا تسخرُ الطبيعةُ بالخلـ ـق وتثرى نفوسهم بالخلود
ويصيب العمى القلوب فما تبـ ـصر ما فى الثرى وما فى اللحود

* * *

جاء من جاء فى الوجود ومرّا نكيال على الثرى ما استقرا
ضاقت الأرض بالجميع فألفوا جوفها للجميع أوسع صدرا
أكلتهم من بعـد ما أكلوها فاسأل الأرض فهى بالناس أدرى
ما لها أنبتت من الرّم أثمـ ـاراً طعاماً للآكلين وبذرا

* * *

ربَّ تفاحةٍ كخدٍ صقيـل نبتتْ من صميم خدٍّ صقيل
مضغتها الأضراس ثم طواها فى ظلام الأحشاء جوفٌ ثقيل
والليالى بالهمس تضحك من كـ ـلّ قبيحٍ وكلّ زاهٍ جميـل
كالرحى ما تنى عن الطحن أو تسـ ـكن فى سعيها سكون ملول

(الاسكندرية) عثمان حلمي

توفيق الحكيم وقواعد الفن :

لا يزال فى كتابنا النابهين من يكتب بالسليقة فلا يكلف نفسه عناء الرجوع إلى معاجم اللغة ، أو النظر فى قواعد الاعراب ، أو البحث فى أصول الكتابة . وقد ساعدهم على الإخلاد إلى هذا الكسل الأدبى إغضاء النقد وغفلة القراء . وعاقبة هذا الكسل وخيمة على الفن فى ذاته ، وعلى الفنان فى مستقبله .

ومن أقرب الأمثلة على الخروج عن قواعد الفن الأولية أن صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم قد سمح لخاطره أن يتدخل فى فنه ، فنشر فى عدد السبت الماضى من (أخبار اليوم) أقصوصة جعل عنوانها (وكانت الدنيا) ، ومن حول هذا العنوان كتب بخط ظاهر : قصة العدد خيالية . ثم بدأها بقوله : « لماذا تمرد إبليس ؟ قصة ذلك مدونة جاءت بها الكتب السماوية ولا سبيل إلى الشك فيما روت ؛ ولكن خيال الروائى يجنح أحيانا إلى اختلاق صور أخرى للحادث الواحد ، ولا بأس من عرض إحدى هذه الصور على سبيل التفكهة لا الاعتقاد » . ثم نقل عن (أبى الفداء) كلاما فى إبليس ، ثم قال بعد ذلك : « وتبدأ قصتنا هذه المخترعة بعد أن تم خلق آدم ... الخ » .

فهل يجوز للقصصى أو الروائى أن يفضح سر فنه للناس فيقول لهم أول مايقول : إن هذا الحادث الذى ستقرأونه أو ستسمعونه أو ستشاهدونه اختلاق محض و كذب صريح؟ وهل يسمح لنفسه كاذب أو فياش من عامة الناس أن يبدأ حديثه الذى احتشد له وافتن فيه بأنه تلفيق أو إغراب أو مبالغة ؟ إن المحدث متى اعترف بكذب حديثه أول الأمر جرده من اللذة والفائدة فلا يهتم له السامع أو القارئ مهما كان موضوعه طليا وعرضه فنيا ؛ ولذلك شرطوا فى القصة أو الرواية الصدق أو قابلية الصدق (La Vraisemblance) وأوجبوا على القصاص أو الروائى أن يستعين على تمثيل الحقيقة بالخداع الشعرى أو المسرحى L' illusion poétique ou théâtrale محافظة على التأثير والتشويق ، وحرصا على التوفيق بين الفن والحقيقة . ويظهر أن الذى دفع الأستاذ الحكيم إلى هذه المخالفة الفنية ، مخالفة الأقصوصة للنصوص الدينية ، ولكنه كان حقيقاً بأن يحتال بفنه على أن يمكن القارىء من فهم ذلك بنفسه ، أو بأن يختار من الموضوعات ما يستطيع التوفيق فيه بين فنه واعتقاده .

هيج أوهاج لا أهاج :

جاء فى (رسالة لم تنشر للجاحظ[1]) الجزء الأخير فى مجلة (الكاتب المصرى) الغراء :

« وأهاج التبلد » .

واليقين كل اليقين أن هذا من تحريف الناسخين ، فبعيد بل محال أن يقول أبو عثمان (أهاج) وإنما يقول (هيج أوهاج) « وهاجه غيره يتعدى ويلزم » .

السرهى

جامعة هارفرد تهتم بالشرق العربى :

تبدى حكومة الولايات المتحدة اهتماما شديدا بالشرق الأدنى والأوسط كما يستدل عليه من خطاب الرئيس ترومان الأخير فى شيكاغو فى احتفال « يوم الجيش » . وقد رددت صدى هذا الاهتمام الصحف والمجلات والراديو والأندية السياسية وغيرها من المعاهد التى تهتم بشؤون الشرق .

ومن أدلة هذا الاهتمام أن جامعة هارفرد — كبرى جامعات أميركا — عقدت مؤتمرا للبحث فى شؤون الشرق الأدنى والأوسط برعاية دائرة الدروس الحكومية لتلك الجامعة ، وذلك فى اليومين الثالث عشر والرابع عشر من شهر نيسان — ابريل — وقد كان بين المشتركين فى البحث بهذا المؤتمر الأستاذ جيمس لاندس — عميد مدرسة الشريعة فى جامعة هارفرد والمستشار الاقتصادى لحكومة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط أثناء الحرب الأخيرة — والأستاذ كارل فريد ريخ أحد أساتذة الجامعة المذكورة — والأستاذ وليم ولبارد — أحد أساتذة جامعة جنيفا ورئيس لجنة الوصايات سابقا فى جمعية الأمم المنحلة .

(١) نشرها الأستاذ طه الحاجرى .

وقد طلب القائمون بالمؤتمر من معهد الشؤون العربية الأميركية إرسال ممثل عنه للاشتراك فى أبحاث المؤتمر ، فلبى المعهد الطلب وندب عنه الدكتور خليل طوطح الذى اشترك فى جميع أبحاث المؤتمر وخطب مظهرا أهمية معرفة الشرق العربى عن كثب، وبالاختبار لا بالمطالعة ، ومن الوثائق الرسمية فقط . ولفت الأستاذ طوطح أنظار المحاضرين إلى أهمية البعث العربى الأدبى والسياسى والاجتماعى الذى شمل جميع أقطار الشرق العربى ، ولا يزال من أهم عوامل تقدمه فى جميع مرافق الحياة ومظاهرها . وأشار بوجه خاص إلى التقدم فى طبقات الشعب المتوسطة وبين الفلاحين والعمال . فقال إن كلمة « أفندى » لا تعنى طبقة خاصة من الناس تمتاز بشىء عن غيرها ، ولستشهد على ذلك بنفسه ، وبالعصامى المعروف السيد عبد الحميد شومان . فقال أنا أدعى أفندى مع أننى ابن فلاح وكذلك السيد شومان الذى هاجر إلى الولايات المتحدة وأحرز ثروة لا بأس بها فى شارع واشنطون — نيويورك — قبل أن عاد إلى فلسطين وأسس مصرفا عربيا فى القدس له فروع مختلفة فى مدن فلسطينية عديدة ، وفى غير فلسطين من الأقطار العربية المجاورة .

يوم ولا كالأيام !

هكذا كان عنوان إحدى المقالات الرائعة فى الرسالة . وفى تركيب هذا العنوان ما يؤدى لغة إلى عكس ما قصد إليه الأستاذ الكاتب ؛ إذ أن المعنى الحقيقى لهذا التركيب : إنه يوم لم يبلغ أن يكون فى أوصافه شبيها بالأيام ، والأستاذ إنما يريد أنه يوم لم تبلغ الأيام أن تكون فى أوصافه مثله . وقد شاع هذا النوع من الخطأ فى كلام كثير من الكتاب فيقولون مثلا : شاب ولا كالشباب ، فيضعون منه من حيث لم يريدوا إلا اطراءه . وأما الأمثال المشهورة : مرعى ولا كالسعدان ، فتى ولا كمالك ، ماء ولا كصداء ، فهى تضرب للشىء الذى فيه فضل وغيره أفضل منه كما يقول أبو الحسن الأخفش فى تعليقه على الكامل للمبرد .

عبد الغنى الرفر

مدرس الأدب العربى فى معهد العلوم الشرعية فى دمشق

كتاب أنساب الخيل :

قد أتمت دار الكتب المصرية طبع كتاب انساب الخيل لابن الكلبى ، وهو معروض للبيع يوميا وثمن النسخة للجمهور ٢٥٠ مليما، ولباعة الكتب ٢٠٠ مليم، ولمن يشترى عشر نسخ فأكثر

خطأ أم عمد ؟

رويت فى مقالتى فى العدد (٦٧٤) من الرسالة ، أبيات : أعانقها والنفس بعد مشوقة الخ ... ونسبتها لابن الرومى، فلما جاءت المقالة منشورة وجدت اسم العباس ابن الأحنف مكان اسم ابن الرومى ، فإذا كان خطأ فأرجو تصحيحه وإن كان عمداً فأرجو بيان دليله .

(دمشق) علي الطنطاوى

(الرسالة) : الأبيات لابن الرومى والتغيير قد حدث خطأ .

فى الكتب

عبد الله فكرى :

[تأليف الأستاذ محمد عبد الغنى حسن]

هذه ولا ريب نهضة مباركة أن يقوم شبابنا المثقف بتعريف الجيل الحديث بأعلام القرن الماضى ، حتى تتم حلقات التاريخ ، ويعتمد الحاضر على دعائم وثيقة من الزمن . وحياة الأمم تقاس برجالها وتاريخها وماضيها .

وليس الأستاذ محمد عبد الغنى حسن غريباً عن قراء العربية ، فهم يعرفونه أديباً شاعراً كاتباً . وقد أحسن الكتابة عن عبد الله باشا فكرى ، لأنه كان أديباً وكاتباً وشاعراً كذلك . فهذه المماثلة بين صاحب الترجمة وبين المؤلف هى فى نظرنا السر فى ظهور هذا الكتاب فى هذه القوة وهذا الإشراق .

بيّن المؤلف نشأته ومولده ، وتعليمه فى الكتاب ، ودراسته فى الأزهر ، وصور حياة الأزهر فى ذلك الوقت أحسن تصوير ، ولقد كانت حياة العلم فى الأزهر فى القرن الماضى أفضل منها فى العصر الحاضر بعد أن تقيد الطلبة بالمناهج ، وتقيد الأساتذة بطائفة من الحصص . لقد كانت الحرية الواسعة التى يلقاها الأساتذة والطلاب فى الأزهر القديم سر نجاحه ومصدر بروز بعض المتخرجين فيه . لقد كانوا يطلبون العلم للعلم وهو أفضل الغايات .

تقلب عبدالله فكرى فى وظائف الحكومة حتى بلغ نظارة المعارف وهو مثال الموظف الأمين على وظيفته ، الناظر فى مصلحة الشعب ، المخلص لعمله ، فليتدبر من يقرأ هذا الكتاب من الموظفين فى الحكومة ماذا تكون نتيجة الإخلاص للوطن

ولم تمنعه الوظيفة الحكومية على ما فيها من أعباء ثقال ، وعلى الأخص فى ذلك العهد العصيب من الناحية السياسية ، الذى

ظهرت فيه حركة عرابى وانتهت بالاحتلال ، لم تمنعه هذه الأمور كلها من التأليف وقرض الشعر .

وبعد ، فهذه دراسة جدية بذل فيها المؤلف جهداً واضحاً ، ورجع إلى نحو ثلاثين مرجعاً أثبتها فى صدر الكتاب مما يدل على التحقيق وسعة الاطلاع .

ونرجو أن يستمر الأستاذ عبد الغنى حسن على هذا النمط ، فيترجم لنا عن بعض الشخصيات الأخرى من أعلام الجيل الماضى ، ليكون ذلك تبراساً يهتدى به شبان هذا الجيل .

أحمد فؤاد الاهوانى

ليلة النهر :

[للاستاذ على أحمد باكثير]

لا عجب ومصر بلاد يجرى فيها نهر النيل ، فيهب الحياة لقطانها وحيوانها وزرعها ، أن يقفى المرء بفضل ذلك النهل الخصيب على كل مرفق من مرافق الحياة . ولكن الأستاذ على أحمد باكثير — وهو الأديب المطبوع — يرى أن لهذا النهر وحياً آخر أسمى من الماديات ، فهو بالحب يوحى ، وناره يزكى ، ويلهم للشاعر أغاريده فتصدح بها نفسه دون وعى .

« ليلة النهر » قصة حب رعته الطفولة البريئة الباكرة ، ونماه الشباب الطموح الوثاب ، وألهبت أدواره ليلة أمضاها العاشق مع معشوقته فى زورق حمله النيل الرؤوم كما تحمل الأم رضيعها ، فتفجرت من العاشق عاطفته فاذا بها شعر وجدانى رقيق يصاحبه نغم موسيقى رائع ، وإذا بالأيام تقبل على الشاب فيصبح من أعلام الشعراء والموسيقيين والمطربين وهنا تنهض التقاليد فى وجهه ، فلا يستطيع الظفر بمحبوبته والزواج منها لأن خالها القيم على شؤونها ، رأى أن يعقد عليها لشاب متعطل مفتون ليس له من مؤهلات سوى أنه نجل أحد الأثرياء من حملة الألقاب .

وتزداد الدنيا على الفنان إقبالا ، فيصيب من المال والنجاح والشهرة ما لم يسبقه إليه مغنٍ سواه ، لأنه ينظم الشعر جيدا ، ويكسوه رداء غير فضفاض من الموسيقى ذات النغم الخالد ، ثم ينشده بصوت يشيع الطرب فى النفوس ، ويدفع السأم عن القلوب ، ولا يسع المرء إزاءه إلا أن يستزيده ويقبل على الإصغاء إليه .

وتمعن الدنيا فى التنكر لذلك الشاب العاطل زوج الفتاة ، فتكبل بالحديد يداه ، ويزج به بين غياهب السجون لإثم اقترفه ويخلف وراءه زوجة وطفلا يعانيان من نكد الدنيا أمره .

ولكن الأيام بالأحداث حبالى ، فإن الشاعر الموسيقار ، وإن سخت عليه المقادير بالمال والجاه ، لم تسخ عليه بغذاء قلبه ؛ وإن واتته الشهرة والمجد ، لم تواته عاطفة الحب بأكملها ، فأمسى ظامئاً يتلهف على رى نفسه فلا يستطيع ، وسرعان ما تذبل زهرة العمر وتنزل المنية به وهو فى شرخ الشباب وأوج المجد ، فينعاه الناعى من الذياع الذى طالما تردد صوته منه فأطرب وأشجى ، وتستمع إليه محبوبته التى فرقت الأيام بينهما ، فينزل عليها النبأ نزول الصاعقة ، وتصبح فى اليوم التالى نزيلة صومعة من صوامع مستشفى الأمراض العقلية .

هذا موجز قصة « ليلة النهر » التى وضعها الأستاذ باكثير ، وصاغ لها قصائد ثلاثاً من جيد الشعر ، ولم يقنع المؤلف بسرد أحداث تتكرر فى روايات أخر ، بل رأى أن يضيف إلى ذلك عنصراً جديداً يمكن تسميته « عنصر الخفاء » ، ذلك لأنه جعل الشاعر بطل الرواية يتصل — فى هيام روحه — بروح شاعر مات بعد ما حرقت جميع أشعاره ، فأخذ يملى عليه ما ضاعت آثاره من شعره . فالشاعر العاشق فى الواقع ليس سوى راوية لشعر غيره ، ورجع لصداه ، يقبل الشعر عليه من غير جهد فيسجله وتتوارد إليه عند تسجيله النغمات الموسيقية اللائمة ، فتكتمل لها ناحيتان تضاف إليهما ناحية الغناء فيتم الثالوث الغنى المطلوب .

وهذه الرواية ضرب من ضروب الحب العذرى العفيف الذى يحرص الأستاذ على أحمد باكثير على أن لا يتجاوزه فى ما يكتب من روايات كروايتى « سلامة القس » و« إسلاماه » اللتين أصدرهما من قبل وعلى الرغم من أن المؤلف « خلق » فى رواية « ليلة النهر » رجلا من رجال الفن وأدار أحداثها حول بطولته ، أبى أن يسمح لهذا البطل بالاستهتار والتبذل واحتساء الخمر ، والاقبال على مشهيات الحياة . وقد يحسب البعض أن فى هذا « الاعتدال » الذى اتصف به بطل الرواية تكلفا وخروجا على المألوف ، ولكن الناقد المنصف لا يسعه إلا أن يحمد للمؤلف هذا الاتجاه . والمؤلف بعد ذلك وقبله ، خلاق يخلق أبطال روايته كما يشتهى ، ويجيد الخلق متى أخرج لنا شيئا جديدا ليس لنا به من قبل عهد .

وبعد ، إنها قصة جيدة متماسكة الجوانب تقف بين أترابها شامخة مرفوعة الرأس .

وديع فلسطين

وزارة الأوقاف

إعـــلان

تعلن وزارة الأوقاف شهر مزاد تأجير أطيان زراعية بالوجهين القبلى والبحرى مساحتها ٥١٣١٧ فداناً على جملة صفقات بجلسات علنية بمراكز التفاتيش فى المواعيد المحددة لكل تفتيش ويعلن عنها بلوحة الإعلانات بالوزارة والتفاتيش — وقررت ما يأتى :

١ — أن تكون مدة التأجير سنتين فى جميع التفاتيش عدا الصفقات التى تزرع قصباً فتكون مدة التأجير فيها لثلاث سنوات .

٢ — أن تعتمد الوزارة فى أول جلسة نتيجة التزايد إذا كان العطاء بأجر المثل المعتمد أو بأكثر منه .

٣ — أن يكون التأمين النقدى موازياً ٥٠٪ من إيجار سنة ما لم يكن بالأطيان مخازن للوزارة فإن وجدت فيكون التأمين ٣٠٪ فقط على أن يدفع منه ٢٠٪ وقت العطاء ويكمل فى مدى أسبوع من تاريخ إخطاره بقبول عطائه بصفة مبدئية .

٤ — ترد التأمينات النقدية لأربابها فى آخر الجلسة متى كانت عطاءاتهم غير مقبولة ما لم يوجد مانع من ردها .

٥ — ويمكن الاطلاع على الشروط وقوائم المزاد بالوزارة والتفاتيش — وعلى من يرغب فى الدخول فى مزاد استئجار أى صفقة أن يعاينها قبل الجلسة ويطلع على جميع البيانات الخاصة بها ويعتبر دخوله فى المزاد إقراراً منه بالمعاينة والاطلاع على البيانات .

٦ — مستحقو الأوقاف الأهلية المشهورة أطيان تابعة لأوقافهم مدعوون لحضور جلسات التزايد المعلن عن مواعيدها بالتفاتيش مع الرجاء بالعمل من جانبهم على زيادة عدد الراغبين فى التأجير .

إذا لم يكن التأمين نقداً كما تقدم يكتفى بتقديم أحد التأمينات الآتية قبل الدخول فى المزاد :

١ — خطاب ضمان من بنك معتمد بقيمة إيجار سنة ويراعى فى خطاب الضمان أن تكون مدة الكفالة بحيث تنتهى بعد مضى ستة أشهر من آخر يوم محدد لانتهاء مدة العقد .

٢ — أوراق مالية مقبولة لدى الحكومة المصرية لا تقل قيمتها عن إيجار سنة حسب تقرير الوزارة .

٣ — أن يقدم للتفتيش قبل الجلسة المحددة للتزايد بأسبوعين على الأقل ضمان بتأمين عقارى مصدق عليه من قلم المساحة المحلى توازى قيمته إيجار سنة مصحوباً بجميع مستندات الملكية وشهادات تصرفات من المحكمة المختلطة لمدة عشر سنوات سابقة لتاريخ الجلسة أو إيصال دال على سداد رسوم طلبها مصحوباً بقيمة ١٠٪ من عطائه نقداً ولن يقبل أى تزايد ما لم يقدم صاحبه تأميناً طبقاً للشروط المبينة بهذا الإعلان

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

نشر الاعلانات فى الرسائل البرقية

إن الإعلان فى الرسائل البرقية المتداولة بين سكان القطر المصرى بأجمعه هو دعاية هامة واسعة النطاق قد هيأتها المصلحة للمعلن الذى يرى إلى رواج أعماله وللتاجر الذى يبغى التوسع فى تجارته وقد راعت المصلحة أن تكون أجور النشر فى هذه الوسيلة زهيدة وفى متناول الجمهور فجعلت كل مائة ألف إعلان بثلاثين جنيها مصرياً وكل ربع مليون بسبعين جنيها وكل نصف مليون بمائة وعشرين جنيها فضلا عن تخفيض معين فى المائة إذا بلغ المراد نشره مليوناً أو أكثر من الإعلانات .

إنتهزوا هذه الفرصة ولا يفوتنكم أن تحجزوا من الآن القدر اللازم لكم من هذه الرسائل

ولزيادة الإيضاح إتصلوا بقسم النشر والإعلانات

(بالإدارة العامة — بمحطة مصر)

(طبعت بمطبعة الرسالة شارع السلطان حسين — عابدين)